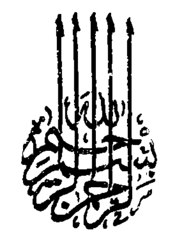
ثلاثة ينتظرهم العالم

عيسى ابن مريم . المسيح الدجال . المهدي المنتظر

عبد اللطيف عاشور

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله ...

لا يعلم الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون !

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين ..

وبعد .. ففى أعقاب انفجار المفاعل النووى الروسى « تشيرنوبيل » ، وبعد تسرب الإشعاع القاتل هنا وهناك - فى الجو ، والبر ، والبحر ، مما هدد مستقبل البشرية كلها على الأرض ! أخذ الناس يتساءلون وهم حيارى مذعورون :

أهذه بداية النهاية ؟!!

وهم على حق فى تساؤلهم ، بعد أن ظن أهل الأرض فى الشرق والغرب أنهم قادرون عليها ، وبعد أن أخذت زخرفها وازينت !! فليس بعد الكمال البشرى إلا النقص !! ولم يبق إذن إلا أن يأتيها أمر ربنا ليلا أو نهارا فيجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس !!

وما الإشعاع الذرى ، وما يجره من رعب ودمار إلا نموذج و « وسيلة إيضاح » تساعدنا على تصور الموقف !

وفى « إطار هذا الرعب الذرى » ضمنا مجلس تبادل

المجتمعون فيه أطراف الحديث حول الساعة وعلاماتها : ما سبق منها وانتهى ، وما نعيشه مما هو واقع ملموس ، مما أخبر به الرسول ﷺ من تلك العلامات الصغرى ! وما نتوقع حدوثه ليلا أو نهارا من العلامات التى تؤذن بقرب قيام الساعة ، أو تدل على وقوعها ، وهى التى تسمي : العلامات الكبرى .

وكعادتنا فى مجالسنا لم يكن هناك من لم يُدْلِ بدلوه ؛ فقد تبادل الجميع أطراف الحديث ، وكأنما عز على كل واحد من المجتمعين ألا يسهم فى الحديث ، وكيف لا والقضية قضية مصيرهم المشترك وأى مصير ؟!

إنها قضية انتقال من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد !!

صحيح ذلك .. ولكن « القيامة » من الأمور الغيبية التى لا مجال للرأى فيها ، .. والعلم عنها لا يكن إلا مستمدًا من نص صريح أو خبر صحيح ، وبعد ذلك نقول :

« من عرَف حُجَّةٌ على من لم يعرف » ..

لقد قال قائل :

إننى أجد فى مجتمعنا كل الخصال التى وردت فى حديث أنس – رضى الله عنه – الذى أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وهى تشير إلى اقتراب الساعة !

لقد أمات الناس الصلاة !

وأضاعوا الأمانة !

وأكلوا الربـا !

واستحلوا الكذب !

واستخفوا بالدماء !

واستعلوا البناء !

وباعوا الدين بالدنيا !

وقطعوا الأرحام !
وأصبح الحلم ضعفا !
والكذب صدقـا !
والحريـر لباسـا !
وظهر الجور !
وكثر الطـلاق !
ومـوت الفجـأة !

أليست هذه بعض سمات المجتمع ؟

ألم تُشرب الخمور ؟!
ألم تُعطل الحدود ؟!
ألسنا نأتمن الخائن ونخون الأمين ؟!
ألسنا نكذب الصادق ؟ ونصدق الكاذب ؟!
ألم يتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ؟

أليست هذه بعض العلامات التي جاءت في كثير من الروايات ؟!

فلماذا لا نرتقب ريحا حمراء ، وخسفاً ، ومسخاً وقذفاً ، وسحبا محملة بالإشعاع الذرى ، وتلوثا قاتلا مميتا ؟!

وعلق ثان قائلا :

نعم .. لقد أصبحنا حقا في آخر الزمان ، بعد ما رأينا من تلك العلامات والأمارات ، وليس أمامنا إلا أن نستعد ، ونتوب إلى الله توبة نصوحا !!

إن واقعنا يشهد على صدق تلك الروايات التي تضمنت كثيرا من أمارات الساعة الصغرى !

لقد قل الصديق !
وخان الرفيق !

وظهر دجالون كثيرون .. وانتهى أمرهم !
وظهر مهديون كثيرون .. وانتهى أمرهم !
فهلا فكرنا قليلا ؟!

وهنا تحدث أحد المستمعين فى حزم ويقين قائلا :

إن من ينكر أمر المهدى بالكلية لا يلتفت إليه ؟ لعدم وجود مستند يرجع إليه ..

وليس معنى أن البخارى ومسلما لم يشيرا إليه أن أحاديث المهدى لا يعترف بصحتها ، ولا نقول بما تضمنته .

وهنا راح كل ممن يثبت ظهور المهدى أو ينفى يذكر أدلته ، ويسوق حجته .

وانتقل الحديث من « المهدى المنتظر » إلى نزول عيسى عليه السلام الذى يأتى على الأثر .

وهنا تساءل غير واحد عن « مسيح الضلالة » ذلك الدجال الأكبر ، وهل صح عنه خبر ؟!

حقا لقد شهد الشرق ثلاثة من المهديين ، وانتهى أمرهم بموتهم ، دون أن يتركوا أى أثر !!

ولعلنا نشهد ظهوره فى أيامنا ، فكل أمر إذا ضاق اتسع ، وما ننتظره بعيدا فجأة قد يقع !!

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت ، وكنت أظنها لا تفرج

وهنا قال خامس معترضا معلقا على كلام سابقه :

ياويحنا نتعلق بالأحلام والأمانى ، ونعيش فى عالم الخيال ، ونحلق بعيدا عن أرض الواقع ، ونجرى وراء كثير من الإسرائيليات وحكايات القصاصين ، وأكاذيب الوضاعين !!

لقد نسجنا حول « ظهور المهدى » حكايات وأباطيل وعشنا ننتظر المخلص تاركين الوضع على ما هو عليه حتى يأتى .. واستسلمنا لنوم عميق !

فهل غاب عنا أن هناك من ينكر فكرة « المهدى » ؟!

ألا يكفى أنه لم ترد عنه إشارة فى « أىّ الصحيحين » : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ؟!

لقد انتظرنا وظل العالم ينتظر معنا ظهور المهدى .. وظهور الدجال .. وظهور المسيح عليه السلام !

وظهر دجالون كثيرون .. وظهر مهديون كثيرون :

كلهم يدعى وصلا لليلى   وليلى لا تقر لهم بذاكا

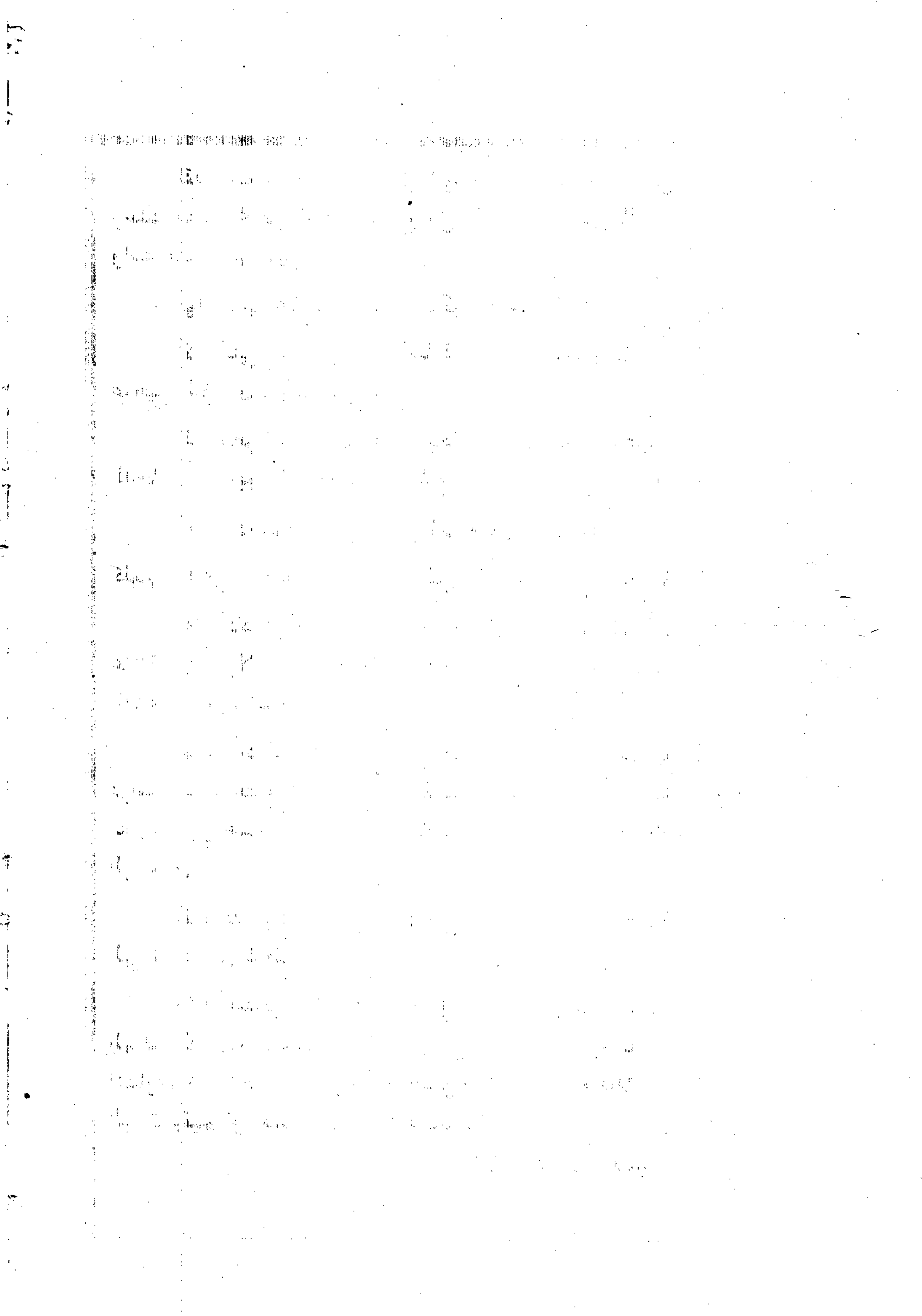
فلا تكاد تمر أعوام إلا ويظهر دجال فى إثر دجال فأى علاقة بين هؤلاء والدجال الأكبر .. مسيح الضلالة ؟ فأيهم المهدى ؟ وأيهم الدجال ؟

عندئذ أدركت أن الموضوع قد تشعب ، ويستحق منا دراسة متأنية تحترم عقل القارىء المسلم وتقدم له التراث نقيا مصونا من عبث العابثين وحكايات القصاصين ، وكلام الوضاعين .

تقدم له الرأى ، والرأى الآخر ، ثم تكشف عن الحقيقة التى تقوده إلى شاطىء الأمان .

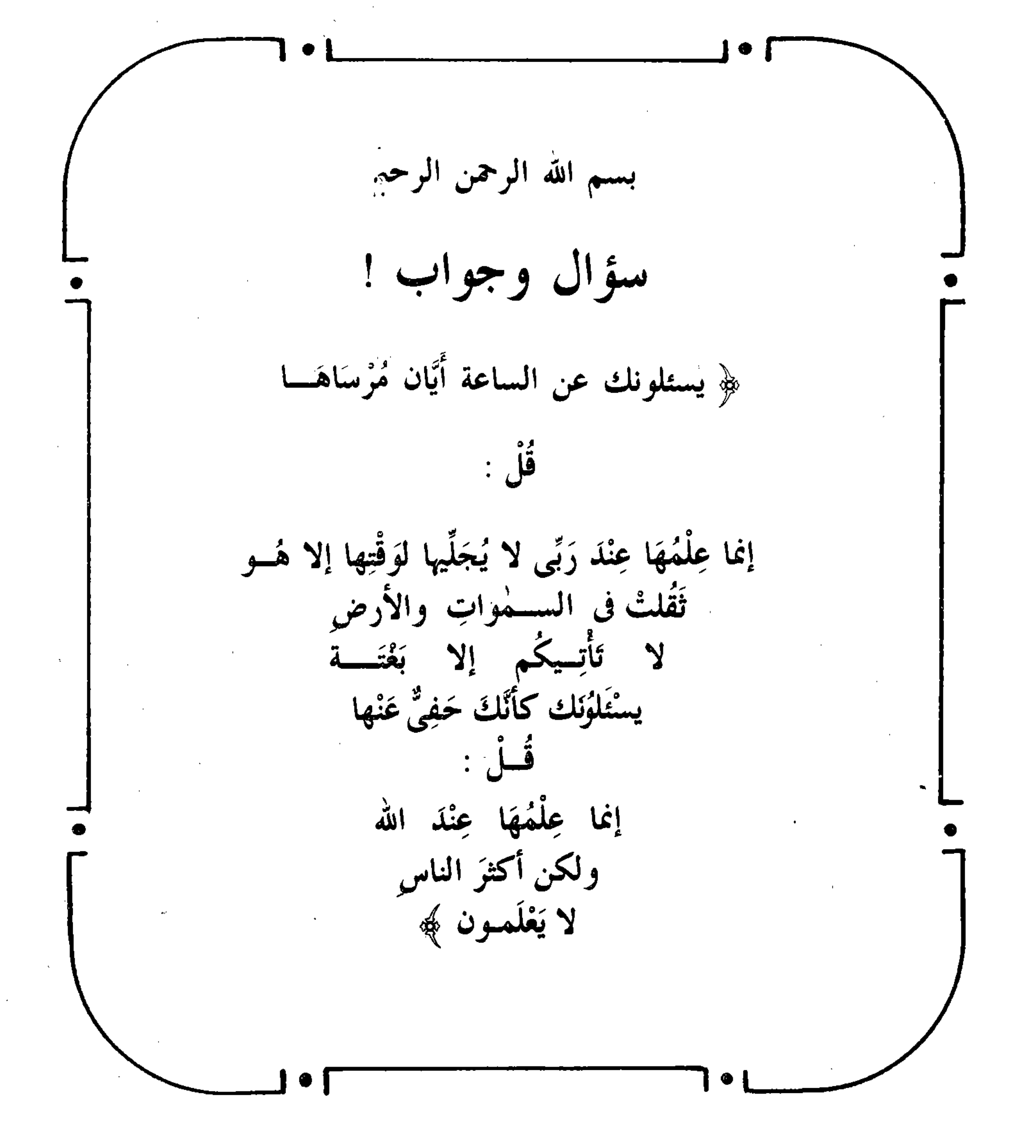
ولقد استخرت الله فى العمل على تقديم دراسة علمية وافية يلم فيها القارىء المسلم – فى سهولة ويسر – بما ينبغى ، واضعا فى اعتبارى إبراز الحقيقة فى أمر الثلاثة الذين ينتظرهم العالم والعلامات التى تسبقهم أو تعقبهم، والله أعلم بالصواب .

عبد اللطيف عاشور



الفصل الأول

الإخبار بالمغيبات !!



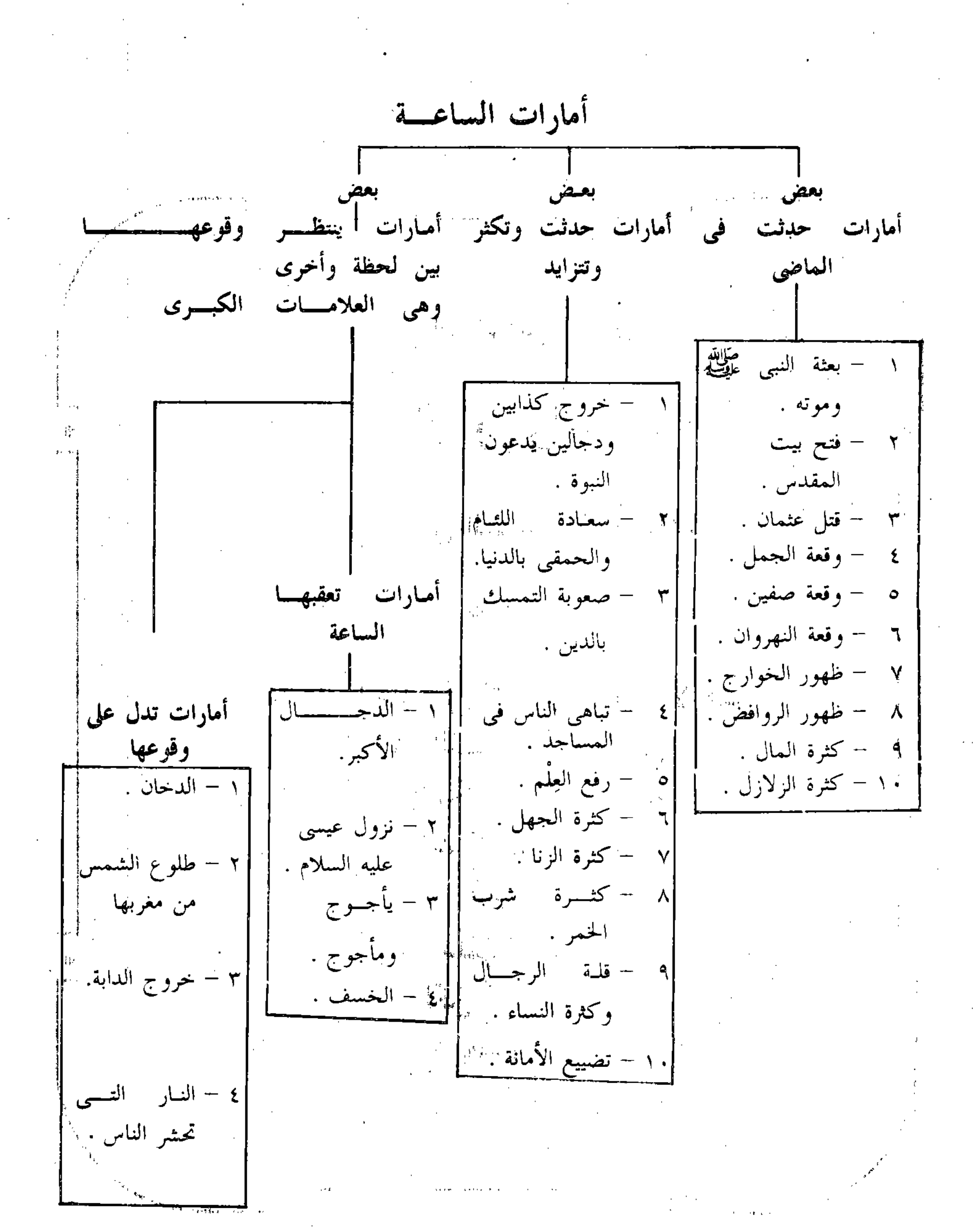
بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال وجواب !

﴿ يسئلونك عن الساعة أَيَّان مُرْسَاهَــا

قُلْ :

إنما عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لا يُجَلِّيها لوَقْتِها إلا هُـو
ثَقُلتْ فى السـمٰوَاتِ والأرضِ
لا تَأْتِـيكُم إلا بَغْتَـة
يسْئَلوُنك كأنَّكَ حَفِىٌّ عَنْها
قُـلْ :
إنما عِلْمُهَا عِنْدَ الله
ولكن أكثرَ الناسِ
لا يَعْلَمـون ﴾


أمارات الساعة
بعض أمارات حدثت فى الماضى
١ – بعثة النبى ﷺ وموته .
٢ – فتح بيت المقدس .
٣ – قتل عثمان .
٤ – وقعة الجمل .
٥ – وقعة صفين .
٦ – وقعة النهروان .
٧ – ظهور الخوارج .
٨ – ظهور الروافض .
٩ – كثرة المال .
١٠ – كثرة الزلازل .
بعض أمارات حدثت وتكثر وتتزايد
١ – خروج كذابين ودجالين يدعون النبوة .
٢ – سعادة اللئام والحمقى بالدنيا.
٣ – صعوبة التمسك بالدين .
٤ – تباهى الناس فى المساجد .
٥ – رفع العِلْم .
٦ – كثرة الجهل .
٧ – كثرة الزنا .
٨ – كثرة شرب الخمر .
٩ – قلة الرجال وكثرة النساء .
١٠ – تضييع الأمانة .
بعض أمارات ينتظر وقوعها بين لحظة وأخرى وهى العلامات الكبرى
أمارات تعقبها الساعة
١ – الدجال الأكبر.
٢ – نزول عيسى عليه السلام .
٣ – يأجوج ومأجوج .
٤ – الخسف .
أمارات تدل على وقوعها
١ – الدخان .
٢ – طلوع الشمس من مغربها
٣ – خروج الدابة.
٤ – النار التى تحشر الناس .

بداية ونهاية

مما اتفق عليه الأنبياء والمرسلون : أن لهذه الدنيا نهاية !

فعندما ينفخ فى الصور يموت كل ما على الأرض من الأحياء ، وتموت ملائكة الله فى السماء ، إلا من شاء الله !

ولكن لا يعلم وقت هذه النهاية بعينه إلا الله عز وجل هو الذى يجلّيها لوقتها .

بَيْد أن هناك علامات وأمارات بعضها يصاحب وقوعها ، وبعضها يسبقها ولكن على مقربة منها مما يؤذن بأن وقوعها أصبح وشيكا ، ويطلق على هذه وتلك « **الأمارات الكبرى** » .

وهناك علامات « **صغرى** » بعضها رآها من قبلنا وكانت بالنسبة لهم مؤشرا يدل على اقتراب الساعة .

ومن هذه العلامات ما يتزايد أمره يوما بعد آخر ولما ينته أمره ، فمازلنا نشهد تلك العلامات والأمارات بيننا ، وقد أشرنا إلى هذه وتلك فيما سبق !

والذى تتعلق به قلوبنا ، وتتوجه إليه أنظارنا تلك العلامات الكبرى .

ولكن من هذه العلامات ما وقع فيه الخلط والخبط من بعض أهل العصر وبخاصة :

المهدى المنتظر ، والدجال ، والمسيح عيسى عليه السلام ولهذا آثرنا أن نتعرض لها أولا ، قبل غيرها من العلامات ، ثم نتابع الحديث عن بقيتها سواء منها ما يؤذن بقرب قيام الساعة ، أو ما يؤذن بوقوعها .

على أن يكون لنا وقفة متأنية مع « **المهدى المنتظر** » فى نهاية الكتاب بعد أن يكون القارىء قد ألم بالعلامات وجمع بينها فى وحدة موضوعية متكاملة .

من يملك الإخبار بالمغيّبات ؟!!

من معجزات سيدنا محمد ﷺ « **إخباره بالمغيَّبات** » سواء كانت حاضرة فى الزمان غائبة عن العِيَان أو كانت مستقبلة ستأتى ولو بعد مئات السنين .

وهذه « **المعجزة** » بلغت الأحاديث فى كثرة حدوثها حد « التواتر المعنوى » و « **أَفْرَادُ حوادثها**» بحر لا ساحل له :

(أ) **أما إخباره – عليه الصلاة والسلام – بالمغيبات التى كانت حاصلة فى زمانه ، وغائبة عن عِيَانِه** : فذلك كإخباره بوفاة النجاشى . وبالظعينة[1] الحاملةِ الكتابَ إلى قريش .

وفى كتب الأحاديث من ذلك شيء كثير جدا تضيق عنه الصحف فمن أراد الاطلاع على ذلك فلْيرجع إليها يَرَ العجب العُجاب .

(ب) **وأما إخباره بالمغيبات المستقبلة** : فهو شيء كثير الحوادث : فمنه ما وقع فى **حياته** ، ومنه ما وقع بعد **وفاته** ، بعد مرور أزمنة قليلة أو متطاولة .

ومنه ما **سوف يقع** ، ولْنذكر شيئا من هذا النوع مما ورد فى القرآن المجيد ، أو الأحاديث الشريفة على وجه الاختصار يظهر به الحق بلا إنكار فنقول :

● **من ذلك** ما ورد فى القرآن الكريم أن أصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين .

---

(١) الظعينة المرأة المسافرة المحمولة على جمل ، وكانت تحمل رسالة سرية إلى قريش .

وكانت مكة حينئذ فى أيدى المشركين وهم محاربون له ولأصحابه ، فدخلها هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام وحقق الله تعالى ذلك لهم .

● **ومن ذلك** قوله فى القرآن : ﴿ **الٓمٓ . غلبت الرومُ فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيَغْلبون فى بضع سنين** ... ﴾ (الروم : ١ - ٤) فكان الأمر كذلك ، فبعد أن غَلبت فارسُ الرومَ غلبتهم الرومُ فى بِضْع سنين (أى ما بين الثلاث إلى العشر) كما أخبر القرآن . يُعلم ذلك من السيرة النبوية والتاريخ وفى القرآن جملة أخبار غيبية يُعْلَم بيانُها من كتب التفاسير .

● **ومن ذلك** : ما ورد فى الأحاديث الشريفة كما رواه الشيخان وأصحاب السنن والحُفَّاظ الأئمة كأحمد والشافعى وأبى حنيفة ومالك :

فلقد أخبر الرسول ﷺ « **بالمُوتان** »[١] الذى كان بعد فتح المقدس فكان بعد ذلك الفتح طاعون « عمواس » .

● **وأخبر بما ينال أهل بيته** رضى الله عنهم من القتل والتشريد وبقتل سيدنا « **الحسين** » فى « **الطف** »[٢] فكان ذلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

● **وأخبر** عن « **الحسن** » رضى الله عنه بأنه يُصْلح الله تعالى به بين فئتين فكان الصلح بسببه بين الفئة التى معه والفئة التى مع معاوية

● **وقال لسُراقة** أحد أصحابه : كيف بك إذا لبست سوارى كسرى فلما أُتِىَ بهما لعمرَ عند فتح فارس ألبسهما لسراقة وقال :

الحمد لله الذى سلبها كسرى ، وألبسهما سُراقة . كما نقله السيوطى فى « **الجامع الصغير** » ، ونقله فى « **جمع الجوامع** » عن البخارى فى التاريخ والحاكم فى المستدرك .

ولقد عُرِف النبى ﷺ بين الأعداء والأصدقاء : « **بالصادق الأمين** » .

لقد قالوا له : ما جربنا عليك كذبا !!

---

(١) كثرة الموت .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة بها كان مقتل الحسين .

وقيل فيه : لئن قالها لقد صدق !

ومعاذ الله أن ينقل تلك الأخبار فى كتبهم أتباع رسول الله ﷺ وأنصار شريعته وتكون غير ثابتة الرواية عندهم فلولا اعتمادهم روايتها عن النبى ﷺ لما حرروها فى كتبهم ، ولما ظلت باقية على مر الدهور .

وهم يعلمون أن محمداً ﷺ كان من **العقل فى أعلى الطبقات** كما شهد له بذلك أعداؤه ، فكيف يقدم عاقل – أعلن على الناس تكليفه بالرسالة من عند الله واتبعه عليه الألوف – على الإخبار بتلك الأمور المهمة : كفتح القدس ، والشام ، وأمثالهما ، وهو يعتقد أن ذلك لا يكون ، ويعرض نفسه للتكذيب والطعن فى مستقبل الزمان ؟!

معاذ الله أن يقدم عاقل على ذلك !! فليتأمل المنصف ثم ليعلم بعد ذلك كله أن الإخبار بالغيب ليس فى طوق البشر من رُسُلٍ أو سواهم ، ومن ادعى علم الغيب من نفسه فقد قال العلماء : إنه يكفر ، وإنما الذى يحصل للبشر من ذلك هو بإعلام الله تعالى وهو سبحانه وتعالى عليم بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة فنحن نؤمن بالمغيبات من الرسل بإعلام الله لهم وعلينا أن نتدبر ما جاء فى القرآن بشأنها مؤمنين إيمانا راسخا بوقوعها إن آجلا أو عاجلا !! لكيلا نقع فيما وقع فيه السابقون أو نتعرض لما تعرضوا له من تسويلات شيطانية .

قال الألوسى :

ذكر بعض المفسرين أنه لما نزلت :

﴿ **اقتربت الساعة** ﴾ [القمر : ١]

قال الكفار فيما بينهم : إن هذا يزعم أن **القيامة قد قربت** فأمسِكُوا عن بعض ما تعلمون حتى ننظر ما هو كائن ، **فلما تأخرت** قالوا : ما نرى شيئا ؛ فنزلت :

﴿ **اقترب للناس حسابهم** ﴾ [الأنبياء : ١]

فأشفقوا فانتظروا **قربها** ، فلما **امتدت** الأيام قالوا : يامحمد ، ما نرى شيئا مما تخوفنا به . انتهى

وصدق ربنا حيث يقول عن قرب يوم القيامة وما يقع فيه من مشاهد :

﴿ إنَّهم يَرَوْنَهُ بَعِيداً ونَرَاهُ قَرِيباً ﴾ [المعارج : ٦ - ٧]

إن المدة الباقية بينهم وبين « **الحساب** » شيء قليل فى الحقيقة .

وما عليه الناس من استطالته واستكثاره إنما هو من التسويلات الشيطانية .

واجبنا نحن المسلمين :

إن اللائق بأصحاب البصيرة أن يَعُدُّوا تلك الأيام قصيرة فيشمِّروا الذيلَ ليومٍ يُكشَفُ فيه عن ساق ، ويكون إلى الله تعالى شأنه - المساق .

ولكن لقد :

﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل ﴾ [الأنبياء : ٣٧] هذا هو شأنه وتلك طبيعته ، يطلب الشيء ويتحراه قبل أوانه . مُفْرِطٌ فى استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق من نفس العجل !

وقديما وقف النضر بن الحارث يقول :

﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ [الأنفال : ٣٢]

ويأتى التهديد : **﴿ سأُوْريكم آياتى فلا تستعجلون ﴾** [الأنبياء : ٣٧] **﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾** [الأنبياء : ٣٨]

كانوا يقولون ذلك استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والإنكار

يخاطبون النبى ﷺ والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن إتيان الساعة !

وينزل القرآن : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكُفّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون** ﴾ [الأنبياء : ٣٩] .

لو يعلمون مدى شدة هول ما يستعجلونه ، وفظاعة ما فيه من العذاب ، وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأنه – لو يعلمون – ماذا يحدث لهم ...

... حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم – فذلك هو الوقت الموعود الذى كانوا يستعجلونه .. إنه الوقت الذى تحيط بهم النار فيه من كل جانب ... وليس هناك من ينصرهم ويدفع النار عنهم .

لو علموا ذلك ما سخروا ، ولما استعجلوا ﴿ **بل تأتيهم بغتة** ﴾ ﴿ **فتَبْهَتُهم** ﴾ وتدهشهم وتحيرهم ﴿ **فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون** ﴾ !! [الأنبياء : ٤٠] .

أيها المستعجلون ...

أيها المستبطئون قدوم الساعة ...

اسمعوا وعُوا قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ **سأُوْريكم آياتى فلا تستعجلون** ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

قد تكون للشيطان حيله ، وهمساته الشريرة فى النفوس .. فكم راح يسائلها :

متى ... متى ... ثم متى ؟!

ولكنَّ لَنا موعداً مع الله !! والله لا يخلف الميعاد ؟!

وسيظل الشيطان يَغُرُّ ويخدع ، ويُلْهى وينسى، فلا ينبغى أن نعطِيه الفرصة ونمكنه من أنفسنا فننسى الموعد .

﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ [سبأ : ٣٠] .

فالله سبحانه : ﴿ إليه يُردُّ علم الساعة ﴾

[فصلت : ٤٧] .

إليه وحده لا إلى غيره حتى ولو كان نبيا !!

﴿ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ [الملك : ٢٦]

وظيفة الرسول ﷺ الإنذار ، ومهمته البيان ، أما العلم فعند صاحب العلم سبحانه علام الغيوب !

ويصدر توكيد بشأن مجيئها :

﴿ إن الساعةَ لآتيةٌ لا ريب فيها ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ [فاطر : ٥٩] .

والكافرون وحدهم هم الذين ينكرونها :

﴿ وقال الذين كفروا :
لا تأتينا الساعة !
قل : بلى ، وربى لتأتينكم ﴾ [سبأ : ٣]

والقافلة تسير ، والركب مسرع ، ولا وقت للجدال ، فليقولوا ما يقولون :

﴿ وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴾

[الحجر : ٨٥]

أما نحن المؤمنين فلا يخامرنا شك فى أن الساعة حق ألسنا نؤمن بالغيب ، وقد أنبأنا بها علام الغيوب ؟! ولكن ما تلك الأشياء التى تدخل فى دائرة الغيب ؟

الإيمان الشرعى !!
وعقيدة الإيمان بالغيب عند المسلمين

وصف الله المتقين فى أُولَى آيات سورة البقرة بأنهم : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ فماذا يكون هذا الغيب ؟

قال ابن جرير الطبرى فى تفسير الآية عن ابن عباس : ﴿ **بالغيب** ﴾ . قال : بما جاء منه . يعنى من الله جل ثناؤه .

وعن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من أصحاب النبى ﷺ : **أما الغيب** فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار ، وما ذكر الله تبارك وتعالى فى القرآن .

وعن زِرّ قال : الغيب القرآن .

وعن قتادة : آمنوا بالجنة والنار ، والبعث بعد الموت ، وبيوم القيامة ، وكل هذا غيب .

وعن الربيع بن أنس ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ آمنوا بالله ، وملائكته ورسله ، واليوم الآخر ، وجنته ، وناره ، ولقائه ، وآمنوا بالحياة بعد الموت ، فهذا كله غيب ، وأصل الغيب : كل ما غاب عنك من شىء ، وهو من قولك : غاب فلان يغيب غيبا » .

ويقول القرطبى فى شرح الآية :

الغيب فى كلام العرب ، كل ما غاب عنك .

ثم قال : واختلف المفسرون فى تأويل الغيب هنا ، **فقالت فرقة : الغيب** فى هذه الآية : الله سبحانه وتعالى . وضعَّفَه ابن العربى .

وقال آخرون : القضاء والقدر .

وقال آخرون : الغيب « كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدى إليه العقول من أشراط الساعة ، وعذاب القبر ، والحشر والنشر ، والصراط ، والميزان ، والجنة ، والنار » .

قال ابن عطية : وهذه الأقوال لا تتعارض ، بل يقع الغيب على جميعها .

ثم قال القرطبى : وهذا هو « **الإيمان الشرعى** » المشار إليه فى حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبى ﷺ : « **فأخبرنى عن الإيمان** » قال :

« **أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . قال : « صدقت » . وذكر الحديث .

وقال عبد الله بن مسعود : ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ .

ثم قال القرطبى : وفى التنزيل : ﴿ **وما كنا غائبين** ﴾ . وقال : ﴿ **الذين يخشون ربهم بالغيب** ﴾ **فهو** سبحانه غائب عن الأبصار ، غير مرئى فى هذه الدار ، غير غائب بالنظر والاستدلال .

فهم يؤمنون بأن لهم ربا قادرا يجازى على الأعمال ، فهم يخشونه فى سرائرهم ، وخلوتهم التى يغيبون فيها عن الناس ، لعلمهم باطلاعه عليهم ، وعلى هذا تتفق الآراء ، ولا تتعارض ، والحمد لله .

وجاء فى تفسير المنار : أن الإيمان بالغيب هو الاعتقاد بموجود ، وراء المحسوس .

وجاء فيه : أن الشيخ محمد عبده قال : وصاحب هذا الاعتقاد واقف على طريق الرشاد ، وقائم على أول المنهج ، لا يحتاج إلا لمن يدله على المسلك ، ويأخذ بيده إلى الغاية ، فإن من يعتقد أن وراء المحسوسات موجودات يصدق العقل بها ، وإن كانت لا يأتى عليها الحس إذا أقمت له الدليل على وجود فاطر السموات والأرض المستعلى عن المادة ولواحقها ، المتصف بما وصف به نفسه

على ألسنة رسله ، سهل عليه التصديق ، وخف عليه النظر فى جلى المقدمات وخفيها .

وإذا جاء الرسول ﷺ بوصف اليوم الآخر ، أو بذكر عالَم من العوالم التى استأثر الله بعلمها – كعالم الملائكة مثلا لم يشق على نفسه تصديق ما جاء به الخبر ، بعد ثبوت النبوة ؛ لهذا جعل الله سبحانه وتعالى هذا الوصف فى مقدمة أوصاف المتقين الذين يجدون فى القرآن هدى لهم » .

ثم قال :

ولما كان الإيمان بالغيب يطلق عند الناس على ذلك الاستسلام التقليدى الذى لم يأخذ من النفس إلا ما أخذ اللفظ من اللسان ، وليس له أثر فى الأفعال ؛ لأنه لم يقع تحت نظر العقل : ولم يلحظه وجدان القلب : بل أغلقت عليه خزانة الوهم – فمثل هذا الذى يسمونه إيمانا لا يفيد فى إعداد القلب للاهتداء بالقرآن .

إلى الذين يعتبرون الإيمان بالغيب عند المسلمين استسلاما للوهم

تعودنا أن يطلع علينا بين آونة وأخرى « **تلامذة العلم المادى ودعاته** » فيسخرون من الدين والمتدينين ، لأن الدين يدعو الآخذين به ، والسائرين فى طريقه إلى « **الإيمان بالغيب** » .

« ولقد حسبوا أن عدم إيمانهم بالغيب وعدم التسليم بوجوده ، لما أتيح لهم من علم كامل جعلهم ينجحون فى تنقيته من شوائب الجهالة والخرافات والأوهام ، وجعلهم يتحصنون ضد الدجل والأكاذيب والخزعبلات !

وما دَرَوْا أنهم قد جهلوا ما يقصده الدين بالغيب وما كان للإيمان بالغيب من أثر فى علماء المسلمين الذين أنشئوا حضارة باهرة مهدت لعصر النهضة الحديثة فى أوربا »[1] .

---

(١) الإسلام ومشكلات الفكر .

ولقد فاتهم أن العلم لم ينجح فى الإحاطة بكل قوى العالم ، وقوى الإنسان معا ، ولم يستطع الإنسان أن يستغنى بهذا العلم عن الإحاطة بجوانب الكون غير المرئية ، ومصير الإنسانية بعد كل ما تجمع للإنسان من أسباب السيطرة على المادة التى حوله .

ولقد شهد الطبيب العالم « **كيريل** » .فى كتابه « **الإنسان ذلك المجهول** » بما خلاصته : أن مصائب الإنسانية التى تتوالى على رأسها ، والتى تمزق شعوبها ، مردها إلى أن الحضارة الحالية تقوم على دراسة الجانب المحسوس من الكون ، وإهمال ما لا يحس ، ولا يقاس ، ولا يوزن .

أى : أن « المعرفة الإنسانية » بها خلل أدى إلى خلل الحياة الإنسأنية .

وإن نظرة واحدة إلى ما تتضمنه تلك الإحصاءات العلمية ، وإحصاءات أجهزة الطب تدل على أن الأمراض العقلية والعصبية والنفسية فى تزايد مستمر فى أرقى المجتمعات الأوربية والأمريكية .

ولا يعرف الإسلام من تسول له نفسه أن يعتبر الغيب عند المسلمين استسلاما للوهم ، أو أخذا من السلف دون فهم !

فكم للإسلام من أيادٍ بيضاء على العلم لولاها ما حقق العالم ما حقق !

وإذا كان العلم قد ضل غايته والتوى ، فلأن المسلمين تقاعسوا اليوم عن أداء رسالتهم ، فأصبح علم الناس علما بلا روح ، أو غلبته المادة واستأثرت به !

لقد كشف الله عن بصائر المسلمين وأبصارهم عندما كانوا يؤمنون بالغيب وزادهم من لدنه علما قادوا به الدنيا وعمروها فنعمت الدنيا بحضارتهم .

أما اليوم فإننا نرى الغرب يفخر بحضارته المادية التى لم تجن البشرية من ورائها غير الدمار ، والقتل ، والجوع ، والتلوث مما جعل الدنيا تشقى بتلك الحضارة !!

وكيف يتسنى للغرب قيادة العالم وقد عميت أبصارهم وبصائرهم حتى صدق فيهم قول الشاعر :

أعمى يقود بصيرا لا أبالكم
ضل من كانت العميان تهديه !!

مفاتيح الغيب !!
عند من ؟!

يحكى القرآن ما دار بين النبى ﷺ وقومه ، حين سألوه عن الساعة ، وتولى الله سبحانه وتعالى الرد عليهم بما لا يدع مجالا للتساؤل عنها بين الناس ، فعلمها عند ربنا ! يقول سبحانه :

﴿ يسئلونك عن الساعة أيان مُرْسٰها قل إنما علمها عند ربى لا يُجلّيها لوقتها إلّا هو . ثقلت فى السمٰوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة .

يسئلونك كأنك حَفِىّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الأعراف : ١٨٧]

لفت نظـر !!

إن ربنا سبحانه يُلْفت السائلين إلى ما ينبغى أن يهتموا به من أمر الساعة .. فهى آتية لا ريب فيها .. ولا مجال للسؤال عن موعدها ، وزمن وقوعها فذلك مما اختص الله به .. لا يجليها .. ولا يُظهرها لوقتها إلا هو سبحانه وتعالى !

لكن ينبغى أن نحوّل اهتمامنا إلى طبيعتها .. وحقيقتها وإلى أى مدًى يكون هولها وضخامتها ، وإلى ما يسبقها أو يصاحبها من أمارات ..

إن أمرها لعظيم .. وإن عبئها لثقيل .. على من فى السمٰوات والأرض !! ، ولكنها لا تأتى .. إلا بغتة ..

والغافلون عنها .. غافلون لا يعلمون .. ولا يدرون

وما دام الأمر كذلك فجدير بنا – نحن المسلمين – أن نصرف اهتمامنا إلى التهيؤ لها ، والاستعداد لمواجهتها قبل أن تأتى بغتة ، فنحن لا نعلم متى تكون نهايتنا : ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ [لقمان : ٣٤]

حكمة الله فى إخفائها :

ولله حكمة فى إخفائها تكشف عنها الآية الكريمة :

﴿ **إن الساعة آتية**
أكادُ أُخفيــها ؛
لتُجْزَى كل نفس بما تسعى ﴾ !!

[طه : ١٥]

هكذا شاء ربنا أن يكون الناس منها على حذر دائم ، واستعداد متواصل .

أما الغافلون : فهم فى غَيِّهم يعمهون ، أعماهم الهوى وأضلهم فكذَّبوا بها ، ولم يعملوا لها ؛ ولهذا حذر الله من التأثر بهم ففى ذلك الردى والهلاك :

﴿ **فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** ﴾
[طه : ١٦]

والسؤال عن الساعة سؤال قديم .. قديم .. فلقد كان الناس يسألون النبى ﷺ عن الساعة .. وعلى الرغم من أنه بين لهم أن المسئول عنها ليس بأعلم من السائل إلا أنه ﷺ أخذ يحدثهم عنها طويلا ، ويخوفهم بها كثيرا ، وينزل القرآن فيصف مشاهَدَها وأهوالَها وكأنهم يرونها رأى العين .

لقد كان العلم بموعدها شغلهم الشاغل ﴿ **يسألك الناس عن الساعة . قل إنما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا** ﴾
[الأحزاب : ٦٣]

لكن البعض راحوا يستعجلونها ، وكأنهم فى شك من أمرها !

﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها !!
والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق .
ألا أن الذين يمارون فى الساعة لَفِى ضلال بعيد ﴾ [الشورى : ١٨]

حقيقة الإيمان والإسلام

وينزل جبريل ؛ ليعلم الناس أمور دينهم ، ويرشدهم إلى ما ينبغى أن يتحلّى به السائل ..، وما الذى يتسنى له أن يسأل عنه ؟

فقد روى **البخارى ومسلم** عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال : **بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه وقال :**

يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام . قال :

الإسلام ، أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

قال : صدقت .

قال : فأخبرنى عن الإحِسان ؟

قال : أن تعبد اللهَ كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : فأخبرنى عن الساعة ؟

قال : ما المسئول عنها أعلم من السائل .

قال : فأخبرنى عن علاماتها ؟

قال :

« أن تَلِدَ الأمةُ ربَّتَها ..
وأن ترى الحفاةَ العُراةَ رِعاءَ الشاةِ يتطاولون فى البنيان »

قال : ثم انطلق فلبث مَلِيًّا ، ثم قال لى : ياعمر ، أتدرى من السائل ؟

قلت الله ورسوله أعلم .

قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

السائل جبريل - عليه السلام - والمسئول - رسول الله ﷺ وكلاهما لا يعلم « **علم الساعة** » .

وظل هذا السؤال يتردد على الأفواه بعد مضى ما يقرب من أربعة عشر قرنا ! وكأنما عبر جبريل عليه السلام عما يدور بخلد الناس من تساؤل ؛ ليسمعهم الإجابة الشافية على لسان نبيهم ﷺ :

« ما المسئول عنها بأعلم من السائل »

أنا وأنت ياجبريل سواء فى عدم العلم بوقتها ، والدليل على هذا قول الله تعالى :

﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ [لقمان : ٣٤]

﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ [طـه : ١٥]

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مُرْساها قل إنما علمها عند ربى ﴾ [الأعراف : ١٨٧]

ويرسّخ الرسول ﷺ هذا المعنى فى نفوس المسلمين ، فقد جاء فى الحديث الصحيح :

« مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله »

وتلا قوله تعالى : **﴿ إن الله عنده علم الساعة**
وينزل الغيث
ويعلم ما فى الأرحام
وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا
وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾[١] .

---

(١) لقمان : ٣٤ .

قال مقاتل : نزلت هذه الآية فى رجل من أهل البادية اسمه : عبد الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبى ﷺ فقال :

إن امرأتى حُبلى فأخبرنى ماذا تلد ؟ وبلادنا جدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث ؟ وقد عَلِمتُ متى وُلِدْتُ فأخبرنى متى أموت ؟ وقد علمت ما عملت اليوم ، فأخبرنى ماذا أعمل غدا ؟ وأخبرنى متى تقوم الساعة ؟ فأنزل الله هذه الآية .

إن السؤال عن « الساعة » بمتى ؟ جوابه : لا أدرى !

ومن قال : « لا أدرى » فقد أجاب .

ومعنى هذا أن « **القمة** » ممثلة فى جبريل والنبى لا تدرى من أمر الساعة شيئا ، وبهذا يكون الباب قد أغلق فى وجه كل الذين يتكهنون بقيام الساعة ، أو يتنبئون بوقوعها .

لكن قد يقال : إن قوله ﷺ « **بعثت أنا والساعة كهاتين** » يدل على أنه عنده منها علم مع أن الآيات تقضى بأن الله منفرد بعلمها ؟

ويجاب عن ذلك – كما قال الحليمى :

أن معناه أن النبى ﷺ هو آخر الأنبياء فلا يتلوه نبى وإنما تليه القيامة ، فليس بينه وبينها إلا كما بين الإصبعين : السبابة والوسطى ، ولهذا قالوا : إن بعثته ﷺ أول علامة ، لأنهم كانوا يسمونه نبى آخر الزمان !

وهنا يسأل جبريل النبى ﷺ عن « **الساعة** » أىْ : ساعة النفخة الأولى لخراب الدنيا حيث تموت الخلائق أجمع بهذه النفخة ، وتنهدم المبانى ، وتغور البحار والأنهار والأشجار والجبال ، ولكنه لما لم يتلق عن سؤاله إجابة ، عاد فسأل عن أماراتها وعلاماتها . ليقطع خط الرجعة على من يسألون عن موعد قيامها ، وليلفت الأنظار إلى ما ينبغى أن يسأل عنه . وقد يقول قائل : لم سميت ساعة مع طول زمانها ؟

ونقول : سمت بذلك ؛ إما لوقوعها بغتة ؛ لأن الناس يموتون جميعا فى لحظة ؛ حتى أن من تناول لقمة لا يُمْهَل حتى يبلَعها ، وحتى أن الرجلين يكون

بينهما الثوب لا يتبايعانه ، ولا يطويانه !

وإما لأنها عند الله كساعة .

وإما لأنها تمر على المؤمنين كساعة ، وإن كانت طويلة جدا على الكفار ، ونحن نقول فى تعبيراتنا الحديثة : « **دقت ساعة العمل** » ! وعلى كل : فالساعة تطلق على اليوم الآخر ، أو يوم القيامة من ساعة النفخة الأولى ، إلى دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

علامات وأمارات

بهذا يتقرر أمر الساعة ﴿ **علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ وما دام الأمر كذلك فلكل شيء خطير أمارات وعلامات قد تصاحبه .. وقد تسبقه ، فليكن السؤال إذن عن العلامات والأمارات ، وهذا ما كان من جبريل حيث عاد فسأل النبى ﷺ عن العلامات الدالّة على قربها فأجابه ﷺ بذكر العلامات الصغرى وذلك لأجل أن يشاهدها بعض الحاضرين السامعين فيكون مصداقا لقوله ﷺ : « **بعثت أنا والساعة كهاتين** »

علامة أولى فى الحديث :

قال : « أن تلد الأمة ربتها » وفى رواية : ربها »

والإماء : السرارى والإماء اللائى وقعن فى أسر المسلمين .. ومعنى ربّها وربتها ، سيدها ومالكها وسيدتها ومالكتها .

قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثرة السرارى والإماء وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده ، وقد يتصرف فيه تصرف المالكين إما بتصريح أبيه له بالإذن له وإما بما يعلمه من قرينة الحال أو عرف الاستعمال ، وعندئذ تكون قد ولدت ربها وسيدها

وقيل إن معناه : يلدن الملوك فتكون أُمُّهُ من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته وهذا قول إبراهيم الحربى .

وقيل معناه : أن تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد فى آخر الزمان فيكثر ترددها فى أيدى المشترين حتى يشتريها ابنها وهو لا يدرى فيكون سيدها ، بينما هى أمه .

والمراد أن السبى يكثر ، والنعمة تفشو فى الناس وتظهر فتكون العلامة الاستهانة بالأحكام الشرعية ، أو غلبة الجهل الناشىء عن بيع أم الولد ؛ وقيل : أن تتحكم البنات فى الأمهات ، ويصبح لهن الكلمة عليهن .

علامة ثانية ذكرت فى الحديث :

(أن ترى الحفاة العراة رِعاءَ الشاة يتطاولون فى البنيان)

وهذه علامة ثانية :

والحفاة الذين لا نعل بأرجلهم ، والعراة الذين لا شىء يستر أجسامهم أو عورتهم .. ورِعَاء الشاة حراس الغنم .. يتطاولون فى البنيان .. يبنون القصور المرتفعة ويفاخرون بها العباد . وقيل إن أناسا من أسافل الناس تكثر أموالهم فيصيرون رؤساء ويتفاخرون بطول البنيان وزخرفته كناية عن ارتفاع الأسافل ! وكثرة المال فى أيدى من كان يظن أنهم فقراء !!

أما العلامات الكبرى فأولها ظهور المهدى وآخرها خروج الشمس من المغرب ، وعند ذلك تقع الواقعة !!

إن هذه العلامات قصد بها أن تكون بمثابة الإنذار الأخير لبنى آدم ، بأن الميعاد قد اقترب لإنزال الستار على الفصل الأخير من قصة حياتهم على الأرض !

وكذلك إعطاء المؤمنين برسالات السماء فرصة للنجاة مما ينتظر عالمنا من أهوال ! بعد أن اقتربت الساعة !

اقتربت الساعة !!

قال لى صاحبى :

ألف عام مضت ، ومعها ما يقرب من خمسة قرون ، والمسلمون يَتلون قول الله تعالى :

﴿ اقتربت الساعة ، وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ [القمر : ١ - ٢]

قلت له : قد علمنا أن بعثة الرسول ﷺ إحدى علامات قرب الساعة .. فالقرآن صادق حين يقول : **﴿ اقتربت الساعة ﴾**

قال : وهل كان انشقاق القمر على عهد الرسول ﷺ أم هو إحدى علامات قرب قيام الساعة ؟

قلت له : قال المفسرون :

إن كفار مكة قالوا للرسول ﷺ : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ، ووعدوه بالإيمان إن فعل !

وكانت ليلة « بدر » . فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما طلبوا فانشق القمر نصفين : نصف على جبل الصفا ، ونصف على جبل قعيقعان المقابل له حتى رأوا حراء بينهما ، فقالوا : سحرنا محمد ، ثم قالوا : إن كان سحرنا ، فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

فقال أبو جهل : اصبروا حتى تأتينا أهل البوادى ، فإن أخبروا بانشقاق القمر فهو صحيح ، وإلا فقد سحر محمد أعيننا ، فجاءوا فأخبروا بانشقاق القمر ، فقال أبو جهل والمشركون : « هذا سحر مستمر » أى دائم ، فأنزل

الله عز وجل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ .

قال الخازن : وانشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ الظاهرة ، ومعجزاته الباهرة !

يدل على ذلك ما أخرجه الشيخان عن أنس : « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين » .

وما روى عن ابن مسعود قال :

انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين ؛ فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » .

وهذا قول جمهور المفسرين ، وهو مروى عن ابن عباس ، وأنس .

وذهب بعضهم إلى أن القمر سينشق يوم القيامة !

ولكن ابن الجوزى قال عنه :

هو قول **شاذّ** لا يقاوم الإجماع .

وبهذا يتبين : أن القائلين بانشقاق القمر يوم القيامة تفسيرا لهذه الآية لم يصح ، وهو قول باطل وشاذ لا يثبت لإجماع المفسرين على خلافه ، ولأن الله – سبحانه وتعالى – ذكره بلفظ الماضى ، وحمل الماضى على المستقبل بعيد ، كما جاء فى تفسير الخازن .

قال صديقى : الآن تبينت أن النبى ﷺ بُعث والساعة وكأنما كانا على موعد ، فهو نبى آخر الزمان .. لا نبى بعده .. وقد مضى من عمر الدنيا الكثير ، ولم يبق إلا القليل .. وصدق الله القائل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ .

إن ما بقى من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جدا ..

لكن لا يعلم مقداره إلا الله ..

كما لا يعلم مقدار ما مضى إلا الله عز وجل !

ويقول ابن كثير فى نهاية « البداية والنهاية » :

والذى فى كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومئات السنين قدنص غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه ، وتغليطهم وهم جديرون بذلك حقيقون به ، وكل حديث ورد فيه تحديد يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده .

انتظار وترقب !!

وسيظل الناس ينتظرون ويترقبون !!

ويخيل إلى أن البشرية كلها تقضى أيامها فى « موقف » انتظار !!

وكما أنه ليس بعد الليل إلا النهار ، فكذلك ليس بعد «دنيانا هذه » إلا « **دار القرار** ! »

والقلق والتوتر سمة من سمات الذين ينتظرون وبخاصة أولئك الذين لم يعملوا حسابهم لهذه الرحلة . وذاك الانتقال من دار أعمال إلى دار شِقْوة أو رشاد !

وكأنى بالبشرية كلها تقضى فترة « العد التنازلى » حتى لا تفاجأ بنهاية العالم لكن الساعة لا تأتيهم إلا بغتة ، وعلمها عند ربنا !!

فماذا يفعلون ؟ وبم يتعلقون ؟ هناك علامات ما بين « صغرى وكبرى » يتناقلها الأبناء عن الآباء والجدود ، فراحوا يرددونها ، وينسجون من حولها قصصا وحكايات ساعد الخيال السقيم على نسجها تملك عليهم حواسهم وتكاد تقض مضاجعهم ، وربما شغلتهم عن واقعهم ، فراحوا يحسبون كل حركة ، وكل صيحة هى نذير من نذر الساعة !

وليس فينا – نحن المسلمين – من لا يتوقف أحيانا عند التفكير فى أمور الساعة وما يصحبها من أمارات ، وما يسبقها من علامات !

● فمنا الذى يهتم بمعرفة تلك العلامات ليطمئن على حياته وما هو فيه من نعيم ومتعة ، قبل أن يشهد تلك اللحظات القاسية .

● ومنا الذى يريد أن ينجو بنفسه ودينه مُؤْثِراً أن لا يتعرض لمزيد من الفتن .

● ومنا المغامر الذى يود من كل قلبه أن يشهد تلك الأحداث ، ويتابع ما يكون فى اللحظات الأخيرة وكأنما هو أحد المراسلين الحربيين الذين يعيشون الأحداث ويدخلون فى قلب النار !

● لا مفر إذن من الحقيقة .. الساعة قائمة .. علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو .. ثقلت فى السموات والأرض .. لا تأتيكم إلا بغتة ..

ويظل العالم ينتظر ... وربما طال ببعضهم الانتظار ...

ترى كيف تكون الساعة الفاصلة ؟

حال الناس يوم يَرَوْنها !!

ماذا يحدث للناس عند قيام الساعة ؟

وماذا تصنع بالمشاعر والتصورات ؟

كيف يرى الناس دنياهم عندما يرون الساعة ؟

يقول ربنا سبحانه :

﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ فيالضخامة وقعها فى النفوس !

إن الحياة الدنيا بكل ما فيها من متع ولذاذات تتضاءل أمامها فى حِسِّ أصحابها وتبدو وكأنها بعض يوم .. عشية أو ضحاها !!

أين هى ؟ أين العمر الطويل ؟ أين ما يتقاتلون عليه من مناصب ومراكز ؟!

انطوى كل ذلك فإذا تلك الحياة العريضة عشية أو ضحاها .. قصيرة .. متضائلة .. زائلة .. لم تكن تستحق أن يضحى من أجلها بالباقية ..

ولا عجب .. فالساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر !!

ونلمس ذلك فى تلك العبارات التى يرددها الناس من جميع الأجناس عندما تتابع الأحداث ، وتضيق السبل فى وجه العام والخاص فنراهم يعلقون– وهم متشائمون يائسون من استمرار أيامهم الحلوة ، وحياتهم التى كانوا يتغنون بجمالها ، وكأنهم يعزون أنفسهم عنها ، وكأن حبل الأمل قد انقطع ! – فيقولون : « الظاهر أن القيامة قد اقتربت !! » .

صحيح أن الساعة غيب ، ولا يعلم الغيب إلا الله ، لكن هناك علاماتٍ وأماراتٍ تسبقها بزمان .. وتقع بين يديها فى نهاية الزمان .. وهم ينتظرون وقوع تلك العلامات بقلب واجف خائف ، وعيون زائغة لا تكاد ترى شيئا حتى ولو كان معهودا إلا وتقول : كأنها هى !

ومن الناس المعذورون فيما يقولون أو يفعلون .. فقد ودع الحياة من قبلهم كثيرون وهم يذهبون فلا يرجعون !! والأيام تمر .. والنهاية تقترب .. وعدوى الانتظار المشوب بالخوف والرعب والقلق ، وبالأمل أحيانا فى منقذ أو مخلص يأخذ بأيديهم إلى شاطىء الأمان بعيدا بعيدا عن فتن عمياء ، وجهالة جهلاء – تنتقل من الكبار إلى الصغار جيلا بعد جيل !

ترى ما تلك العلامات والأمارات ؟ إنهم يتحدثون عن آيات مألوفة وآيات غير مألوفة . آيات أرضية وأخرى سماوية فهل كل ما يردده الناس عنها له نصيب من الصحة ؟

وما ذلك الذى يردده الجميع عن المهدى .. والدجال .. والمسيح أولئك الثلاثة المُنْتَظَرُون .. الذين ينتظر العالم ظهورهم وقدومهم بين يدى الساعة على « مسرح الدنيا » فعند ظهورهم على «مسرح الحياة » يدرك الجميع أنهم يشهدون « الفصل الأخير » من قصة الحياة التى عاشوا أحداثها وتبادلوا أدوارها ، واختلط فيها الحابل بالنابل !!

وتمر اللحظات متثاقلة بطيئة ويشتد الصراع بين « مسيح الضلالة » و « مسيح الهدى » الذى يلفت الأنظار .. أنظار الجميع إلى « المهدى » حيث يأتم به فى صلاته ...

إن كل شيء حولهم يقول لهم : أزفت الآزفة .. أتى أمر الله فلا تستعجلوه وكأنما قد شدت أبصار الجميع إلى السماء يتوقعون أن يشاهدوا على صفحتها كلمة :

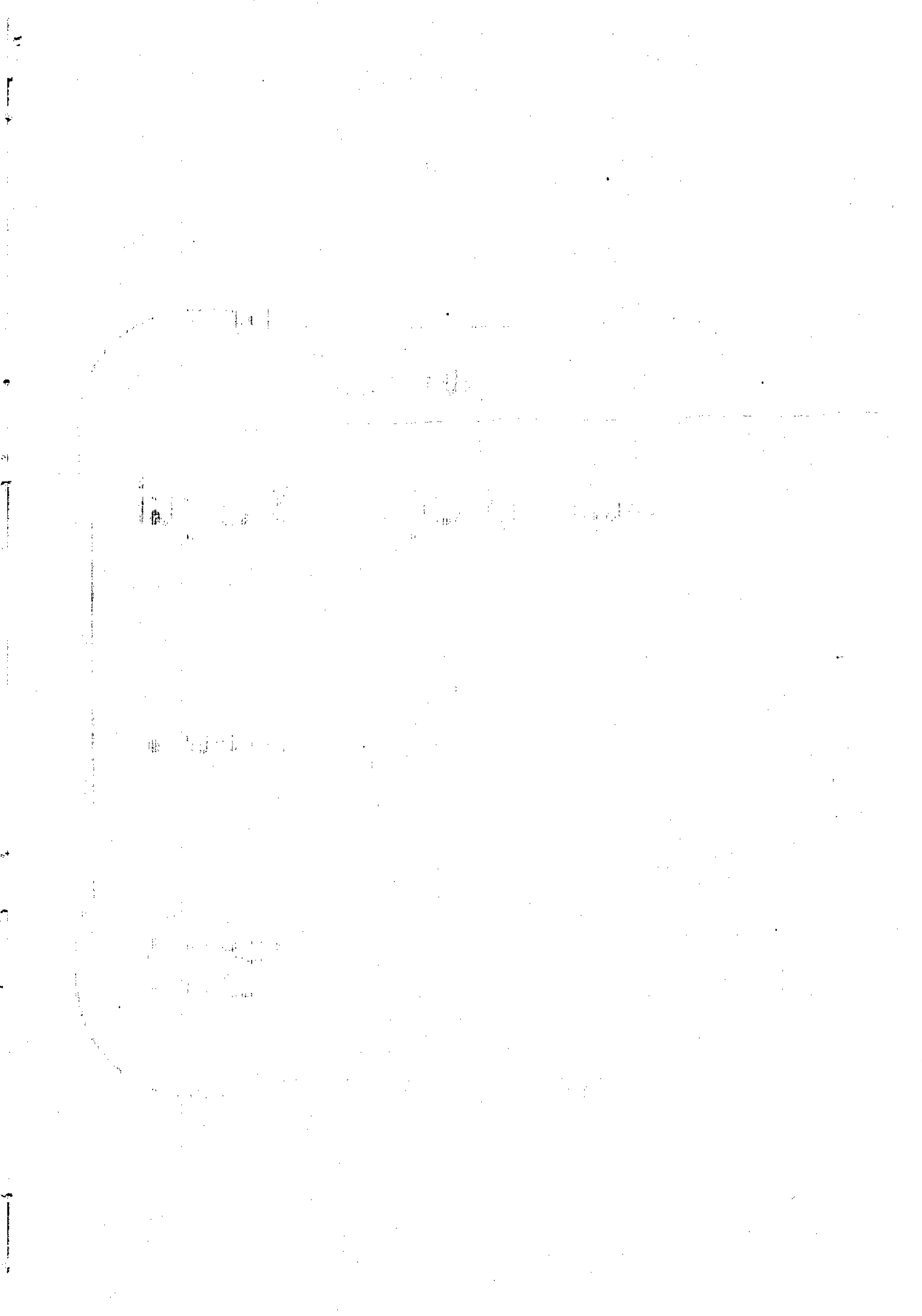
« النهايـــــــــة »

الفصل الثانى

أَمَارَاتٌ تُؤْذِنُ بِقُرْبِ قيام الساعة !

- الثلاثة المنتظرون
  1 - المهدى
  2 - الدجـال .
  3 - عيسى عليه السلام .

- يأجـوج ومأجـوج .
- الخســف .



الثلاثة الذين ينتظرهم العالم
(المهدى - الدجال - المسيح)
هذا بيان للناس !!

من المعلوم أنه قد وردت الصراحة فى القرآن بالنتيجة اللازمة المنطقية لكمال الدين ، وتمام النعمة وهى : خَتْم النُّبوة ، وانتهاء سلسلة الرسالة .

يقول ربنا - سبحانه - :

﴿ ما كان محمدٌ أبا أحدٍ مِنْ رجالكم ، ولكن رسولَ الله ، وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليم﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وهذا الإعلان عن انتهاء سلسلة النبوة من الوضوح والجلاء بحيث لا يستطيع أحد أن يتأول لبقاء باب النبوة مفتوحاً ، ما لم يكن فى قلبه مرض ، وفى عقلِه زيْغ !

وسواء أقَرَأْنَا « خاتَم » فى **﴿ خاتم النبيين ﴾** بفتح التاء أو بكسرها ، فإن النتيجة فى كلا الوجهين واحدة هى : أن باب النبوة قد انسَدَّ إلى أبد الآباد فى علم الله العليم الخبير الذى لا يحصل شىء فى الأرض ولا فى السماء على خلاف علمه .

ومن يتابع ما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة يتجلى له بكل وضوح أن أفضل الأنبياء نبينا محمد ﷺ : فلقد جعل الله أمته خير الأمم ، وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس ، وجعله يتقدم بالشفاعة فيشفع حين يُحْجِم عنها الأفاضل من النبيين ، ويقول كل منهم :

« نفسى .. نفسى .. نفسى لستُ هناكم »

وكيف يرتاب منصف فى أفضليته عليهم ؟!

لقد أخرج الترمذى عنه ﷺ أنه قال : « أنا أكرم الأولين والآخرين على ربى ولا فخر » . وله شواهد صحاح أخرجها البخارى وغيره . ولقد ميزه الله بخصائص أفردها العلماء بالتصنيف :

فمنها : أن كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث نبينا محمداً ﷺ إلى العالمين كافة إنسا كانوا أو جنا من زمانه إلى انتهاء الدنيا ، لا ينسخ شرعه، ولا يقبل الله تعالى دينا غير دينه ، ولا تنزل نبوة بعده على أحد .

ومن ادعاها لنفسه كفر ، ومن صدقه فى ذلك كفر . قال تعالى :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وتواتر حديثه ﷺ أنه النبى الأخير لا نبى بعده . وإذا ثبت أنه لا نبى بعده ، ثبت أنه لا رسول بعده ؛ فإن الرسول إما مُساوٍ للنبى مستلزم له ، ونفى أحد المتساويين يستلزم نفى الآخر .

أو أخص ، ونفى الأعم مطلقا يستلزم نفى الأخص لا محالة .

كفر القاديانية :

وعلى هذا نقول بكفر « **القاديانية** » غلام أحمد وطائفته ؛ فإنه زعم أنه جاءته النبوة ، وأنه « **المسيح عيسى بن مريم** » الذى أخبر الرسول ﷺ بنزوله فى آخر الزمان لقتل المسيح الدجال .

وأنه أوحى إليه بأن المسيح بن مريم قدمات ، وأن نبوته لا تنسخ شيئا من الشريعة .

دعوة « غلام أحمد » القاديانى صدقها طائفة يسمون باسم « القاديانية » نسبة إلى قرية زعيمهم بالهند « **قاديان** » ؛ و« **بالأحمدية** » لأنه سمى نفسه أحمد .

ماذا يقولون ؟

إن لهم تأويلات لما لا يقبل التأويل من كتاب الله ترويجا لأباطليهم ، وكل ذلك خروج عن الإسلام ، وغرق فى ظلمات الكفر والأوهام .

ولهم جراءة على الكذب على رسول الله ﷺ ، والاحتجاج بما وضعه الكذابون قبلهم كحديث محمد بن سعيد المصلوب ، الذى افتراه على رسول الله ﷺ وهو :

« **أنا خاتم النبيين ، لا نبى بعدى ، إلا أن يشاء الله** » فافترى هذا الكذاب قوله : « **إلا أن يشاء الله** » والصحيح قوله ﷺ :

« **أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى** » .

أخرج مسلم وغيره عنه عليه الصلاة والسلام قال :

« **فُضِّلْتُ على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم** .... إلى أن قال ﷺ : « **وأرسلت إلى الخلق كافة وبى ختم النبيون** » .

وأخرج الترمذى والإمام أحمد عنه ﷺ قال :

« **إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ، ولا نبى** » **الحديث** .

وأخرج الشيخان وغيرهما عنه ﷺ قال : « **مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى داراً بناء فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين**» .

ومن رحمة الله تعالى على هذه الأمة أنه تعالى نص فى كتابه على أنه ﷺ خاتم النبيين ، وتواتر ذلك المعنى فى سنته ﷺ لتعلم الأمة : أن كل من ادعى رسالة أو نبوة بعده ، سواء افترى شرعا جديدا ، أو ادعى أنه يؤيد الشريعة المحمدية ، **فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، وإن ظهر على يديه ما يعتبره الجاهلون معجزات ، وخوارق عادات ، فهى على التحقيق أكاذيب واحتيالات ، وتخيلات لا نصيب لها من الصحة** .

بل لو كانت خوارق حقيقية لم تكن دالة على صدق دعواهم ، فإن الله تبارك وتعالى ، قد يستدرج الكذابين المفترين بإظهار الخوارق على أيديهم إذا كانت دعواهم واضحة البطلان !!

والمطلع على هذه الخوارق يدرك جيدا أنها **استدراج من الله لهم ، ومكر بهم ، وليست تأييدا لهم ولا تصديقا لدعواهم ، وأنه تعالى إنما يملى لهم ليزدادوا إثما ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .**

ولا يتطرق الشك إلى قلوبنا – نحن المسلمين – فى كذب ما يخرج علينا به أصحاب الدعاوى الباطلة .. ممن يدعون الألوهية .. أو ممن يدعى أن الإله حل فيه ، أو اتحد به أو يدعى النبوة أو أنه الرسول بعد رسول الله ﷺ .

وبهذا يتبين السر فى ظهور الخوارق على يدى :

١ – **المسيح الدجال**

٢ – **ومسيح قاديان**

٣ – **وبهاء الكافرين** – دفين عكا – منفاه ومعتقله بأمر الدولة العثمانية ومن يتأمل ما ينقل عن هؤلاء الكذابين يجده دائرا بين الفريه، والشعبذة ، وأن هؤلاء من أول الداخلين فى قوله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله ﷺ ، فإياكم وإياهم ، لا يفتنونكم ولا يضلونكم ، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى** »

[أخرجه الشيخان وغيرهما]

١ – هل العالم ينتظر ظهور مهدىّ ؟!

يقول الدكتور « ميرزا محمد مهدى خان » صاحب كتاب « مفتاح باب الأبواب » – بعد أن استعرض ست ديانات فى أول مفتاحه :

ذكرنا فى الأبواب الستة الأولى أن كل دين من الأديان الستة بشّر بأنه سيجىء فى المستقبل شارع عظيم يكمل به الدين ، ويتم على يديه الإصلاح المطلوب لسعادة البشر .

ثم إن بشارات الأنبياء والشارعين قد ظهر تأويلها بظهور خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولهذا لم يرد فى الدين الإسلامى بشارة بشارع آخر يأتى بعد نبيه بل ورد فيه أن الرسالة قد تمت ، والنبوة قد ختمت ، والوحى قد انقطع فلن يعود . كما ورد :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة : ٣] .

وورد : **﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾** [الأحزاب : ٤٠]

وجاء أيضا فى الحديث الشريف مخاطبا أمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – حين استخلفه فى المدينة فى إحدى الغزوات ، ورغب « على » فى الاستصحاب أنه قال ﷺ : « **أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى** » .

ثم يقول مؤلف الكتاب :

ولكن سيطرأ على الناس فساد ينحرفون به عن هدى هذا الدين القويم زمنا ؛ فيظهر رجل من آل بيت نبى الأمة ، يُحيى الشرع ، ويُقيم العدل ، ويُرجع الناس إلى الحكم بكتاب الله المنزل على محمد ﷺ ، وما ثبت من سنته الشريفة . يقفو أثره لا يخطىء !

عرض قضية المهدى على العقل !

من حق كل مسلم بل من واجبه أن يقول لنفسه : هل هناك مانع عقلى من أن يبعث الله يوما رجلا مصلحا يعيد إلى الإسلام شبابه وحيويته ويمنحه من القوة ما يُطهِّر به أرض الإسلام والمسلمين من الخبائث حين تتفشَّى ، وتهدد أوطان المسلمين ؟!

لقد وعدنا رسولنا ﷺ فى الحديث الصحيح بقوله : « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** »[1] .

وكما مر الزمان ، وأصبح الإسلام غريبا كما بدأ كان ظهور من يجدد للأمة دينها أولى ، وأجدر !!

إن العقل لا يمنع هذا ، بل هو ينتظره ، ويتوقعه ، وما دام العقل لا يمنعه ، فلم الإنكار ؟!

إن كل فعل له رد فعل .. وعند كثرة الدجالين ينتظر الناس المهدى !

---

(١) انظر المقاصد ١٢١ ، و«الدرر» برقم ٤٤ ، و « التمييز » ٤٢ ، و « الكشف » ٢٤٣/١ ، و « سنن أبى داود » ١٥٦/٤ – مختصر المقاصد الحسنة .

أضواء كاشفة !!
على مهدى آخر الزمان !

كلما ظهرت طائفة من الأدعياء الكذابين وجدنا من يحمل قلمهُ ، ويعلن على الملأ « نفى خبر المهدى » .

والذى يمكن أن نقرره بادىء ذى بدء : أن أهل السنة لا يرون أن قضية المهدى – إثباتا أو نفيا أو تأويلا – من أصول العقائد ، وإن كانت من أوثق أمهات الفروع ، والأخذ فيها بالإثبات أدنى إلى الصواب[1] .

وفى مجموع روايات أحمد ، وأبى داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم والطبرانى وغيرهم :

أن المهدىّ من بيت النبوة ، جده الحسين لأبيه . قيل والحسن لأمه (أو العكس) .

ويكون قريب الشبه من النبى ﷺ قولا ، وعملا ، وخلقا ، كما يشبه اسمه اسمه ، وكذلك اسم أبيه .

قالوا : وهو لا يعرف نفسه ، ولا يدعو إلى مهديته ، وإنما يختاره الله ، فيختاره الناس فجأة ، ويبايعونه وهو كاره ، (خلافا للإمامية وآخرين فى هذا الوجه) .

وأجمعت الآثار على أن المهدى رجل أعطاه الله بسطة فى العلم والجسم ، واقتدارا على العدل والحسم .

---

(١) مجلة التصوف : لرائد العشيرة المحمدية .

وإنما يأتى حين يطغى الفساد ، فيدمر العقائد ، والشرائع والآداب ، والأحكام .

وأكثر ما تكون ملاحمه وحروبه مع اليهود فى القدس حتى إذا مات دفن هناك .

وقد روى أحاديث المهدى نحو خمسين صحابيا ، وحسبك بهؤلاء صدقا وعدلا .

كما روى حديث المهدى نحو خمسين تابعيا[1] .

وقد استفتى الإمام ابن حجر الهيتمى فى قوم يعتقدون أن « **مهدى آخر الزمان** » قد ظهر ومات ، فأجاب بأن هذا اعتقاد باطل لمخالفته لصريح الأحاديث التى كادت تتواتر فى خبر المهدى .

رأى أبى الطيب القنوجى :

وجاء فى كتاب « الإذاعة لما يكون بين يدى الساعة » للإمام أبى الطيب ابن أبى أحمد الحسينى البخارى القنوجى قوله :

وأحاديث المهدى بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف : وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار ، وأنه لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوى ، يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويسمى بالمهدى .

ويكون خروج الدجال من بعده من أشراط الساعة الثابتة .

وأحاديث الدجال ، وعيسى أيضا بلغت حد التواتر .

رأى العلامة « أبو الأعلى المودودى » :

يقول فى رسالته – [البيانات : ٦١ ، ١] :

---

(١) وليس كل ما لم يرد فى الصحيحين من الأحاديث بمردود .

قد ذكرنا فى هذا الباب نوعين من الأحاديث :

١ - أحاديث ذكر المهدى بالصراحة .

٢ - وأحاديث إنما أخبر فيها بظهور خليفة عادل بدون تصريح بالمهدى .

ولما كانت الأحاديث من النوع الثاني ، تشابه الأحاديث من النوع الأول فى موضوعها ، فقد ذهب المحدّثون إلى أن المراد بالخليفة العادل فيها إنما هو « **المهدى** » .

ثم يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى البيانات : غير أن من الصعب على كل حال : القول **بأن هذه الروايات لا حقيقة لها أصلا** ؛ فإننا إذا صرفنا النظر عما ربما أدخل فيها الناس من تلقاء أنفسهم ، فإنها تحمل حقيقة أساسية هى : القدر المشترك فيها وهى : **أن النبى ﷺ أخبر أنه سيظهر فى آخر الزمان زعيم عامل بالسنة ، يملأ الأرض عدلا ، ويمحو عن وجهها الظلم ، والعدوان ، ويُعلى فيها كلمة الإسلام ، ويعمم الرخاء فى خلق الله** .

وبهذا يكون **جمهور الأئمة قد أجمع على حقيقة لاشك فيها : أن المهدى حق ، وإن اختلفت فى شخصيته المذاهب !**

رأى الشيخ الشعراوى :

يقول فضيلته ما نصه : الذين يقولون : إن ما ورد من الآثار حول المهدى المنتظر يقصد به الرمز لا التشخيص فى شخص معين ، ويذهبون هذا المذهب - هؤلاء لم يستطعوا إنكارا هذه الآثار التى أوردها المحدثون ، فأرادوا أن يؤولوها ويحولوها إلى معنى مقبول عقلا .

ولهذا فنحن نناقشهم فى صحة هذه الآثار ، لأننا مُسَلّمون معا بوجودها .

فقط نناقشهم فى الفهم ، ونقول لهم : ما المراد بالرمز ؟ وما المراد بالإصلاح ؟!

الرمز والإصلاح معنيان ؛ والمعانى لا تقوم إلا بذواتها ، فالإصلاح لا يوجد إلا بوجود مصلح .

فالمصلح لازم للإصلاح ، وهو ذات تقوم بالإصلاح ، وعلى هذا فإن الذى يقول بتشخيص المهدى على حق ؛ لأنه لا إصلاح بدون مصلح .

أما من يقول : إنه رمز للإصلاح ، فنقول له : هات لنا إصلاحاً بدون ذات مصلح ؟!

وهل إذا ادعى – كذبا شخص أو أشخاص على طول التاريخ بأنهم المقصودون بالمهدى المنتظر ، وتحقق لنا كذب دعوتهم ، هل هذا يهدم فكرة وجود مهدى حقيقى سيظهر فى آخر الزمان ؟!

إن المهدّى الحقيقى صادق وسيكون مبايعاً ، لا مستبيعاً . الناس هم الذين يبايعونه ، وليس هو الذى يطلب البيعة منهم لنفسه ، لأنه سيكون النموذج المثالى للخير ، ولتطبيق منهج الإسلام فى سلوكه وكل أعماله .

بين يدى الأحاديث الواردة فى المهدىّ

ونتوقف عند الأحاديث الواردة فى المهدى ، فنجد منها ما يشير إلى بيان أنه من ذرية رسول الله ﷺ وعِتْرته :

(١) عن أم سلمة – رضى الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **المَهْدِىُّ من عِتْرتى ، من وَلَد فاطمة** » رضى الله عنها .

أخرجه **أبو داود السِّجِسْتَانىّ**(١) فى « سننه » والإمام **أبو عبد الرحمن النَّسائىّ** فى سننه(٢) ، **والإمام الحافظ أبو بكر البيهقىّ ، والإمام أبو عمرو الدّانىّ**(٣) . **رضى الله عنهم** .

(٢) وتشير أحاديث أخرى إلى مهمته وموعد ظهوره : فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى سعيد الخُدْرىّ – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئَ الأرضُ ظُلْماً وعُدْواناً ، ثم يَخْرُجُ من عِتْرتى**(٤) **، أو من أهل بيتى من يَمْلَؤُها قِسْطاً وعَدْلاً ، كما مُلِئَتْ ظُلْماً وعُدْواناً** » .

---

(١) سنن أبى داود ٤٢٢/٢ فى كتاب المهدى .

(٢) ذكر السيوطى أن الحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم فى المستدرك والطبرانى فى المعجم الكبير عن أم سلمة . جمع الجوامع ٤٤٩/١ . وسنن ابن ماجه ١٣٦٨/٢ .

(٣) أبو عمر بن عثمان الدانى الأندلسى المقرىء المفسر الحافظ توفى بدانية سنة أربع وأربعين وأربعمائة وعد الذهبى من كتبه « كتاب الفتن » وقال : فى مجلدين .

(٤) **العِتْرةُ** : نسل الإنسان . قال الأزهرى : وروى ثعلب عن ابن الأعرابى : أن العترة ولد الرجل وعقبه من صلبه ، ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك .
=

وعن عائشة – رضى الله عنها – عن النبى ﷺ قال : « **هو رَجُلٌ مِنْ عِتْرتى يُقَاتِلُ عَلَى سُنَّتى كما قاتَلْتُ أنا على الوحى** » .

أخرجه الإمام أبو نُعَيْم بن حَمّاد[1] .

(٣) وتشير أحاديث أخرى إلى الأحداث المصاحبة لظهوره :

فعن حذيفة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **يلتفت المهدىُّ وقد نزل عيسى بن مريمَ ، كأنما يقطُرُ من شعره الماء ، فيقول المهدىّ : تقدم صلِّ بالناس . فيقولُ عيسى : أمَا أُقيمتْ الصَّلاةُ لك ؟ فيُصَلّى خلفَ رجُلٍ من وَلَدِى** » . **وذكر باقى الحديث .**

أخرجه الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد **الطَّبَرانىّ فى** « **مُعْجَمه** » ، **وأخرجه الحافظ أبو نُعَيْم** فى « مناقب المهدى » .

(٤) وعن أمير المؤمنين علىّ – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « **لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعثَ اللهُ رجلاً من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جَوْراً** » .

أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى فى سننه .

(٥) وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يخرجَ المهدىُّ من ولَدى ولا يخرج المهدى حتى يخرج ستون كذابا كُلُّهم يقول : أنا نبى** »[2] .

= ويقال : رهطه الأدْنَون ، ويقال : أقرباؤه ، ومنه قول أبى بكر : نحن عترة رسول الله ﷺ التى خرج منها وبيضته التى تفقأت عنه . وعليه قول ابن السكيت : العترة والرهط بمعنى . ورهط الرجل قومه وقبيلته الأقربون .

(١) فى نسب المهدى . الجزء الخامس من كتاب الفتن .

(٢) لهذا الحديث شاهد صحيح ، عن أبى هريرة عن أنس عن النبى ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله » – أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه هكذا . وفيه : (قريبٌ) وأخرجه البخارى بمعناه فى باب « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء » من كتاب الفتنة . صحيح مسلم ٢٢٢٤/٤ .

وتتطلع النفس إلى معرفة اسمه وخلقه وكنيته ، ونعيش فى صحبة كتب السنة لنجد الإجابة الشافية :

(٦) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهبُ الدنيا حتى يملكَ العَرَب رجلٌ من أهْلِ بيتى ، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسمى » .

وفى رواية : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّلَ الله ذلك اليوم ، حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتى يُواطِئ اسمُه اسمى ، واسم أبيه اسمَ أبى ، يملأ الأرضَ قسطا وعِدْلاً ، كما مُلِئت ظُلْماً وجوراً » .

أخرجه جماعة من أئمة الحديث فى كتبهم ؛ منهم الإمام أبو عيسى الترمذىّ ، فى « جامعه » والإمام أبو داود فى سننه ، والحافظ أبو بكر البيهقى ، والشيخ أبو عمر الدانىّ كلهم هكذا .

وأخرجه الإمامُ أحمد بن حنبل الشيبانى فى مسنده وقال : « رجلا منى » ولم يذكر : « اسم أبيه اسم أبى » .

(٧) وروى البيهقىّ فى « البعث والنشور » عن أبى إسحاق قال : قال علىّ عليه السلام ، ونظر إلى ابنه الحسن : فقال : إن ابنى هذا سيد كما سماه النبى ﷺ سيخرج من صُلْبه رجل باسم نبيكم ، يشْبِهُه فى الخُلُق ، ولا يشبهه فى الخَلْق »[1] .

(٨) وعن حُذيفةَ – رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً اسمُه اسمى ، وخُلْقُه خُلْقى ، يكْنَى أبا عبد الله » أخرجه الحافظ أبو نُعَيم فى « صفة المهدى » .

(٩) وروى من حديث أبى الحسن الرَّبَعىّ المالكى أتم من هذا :

عن حذيفة أيضا عن رسول ﷺ أنه قال : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد ، لبعث الله فيه رجلا اسمه اسمى ، وخُلْقُه خُلْقى ، يكنى أبا

---

(١) رواه البيهقى فى « البعث والنشور » .

عبد الله ، يبايع له الناس بين الركن والمقام ، يرد الله به الدين ، ويُفتح له فتوح ، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول : لا إله إلا الله »

فقام سلمان ، فقال : يا رسول الله ، من أى ولدك ؟ .

قال : « من ولدى ابنى هذا » ، وضرب بيده عَلَى الحسين

لماذا سمى بالمهدى ؟!

ونتساءل : لم سمى المهدى ...؟؟

ويجيب السابقون :

سمى المهدى ، لأنه يُهدَى إلى أمرٍ خَفِيَ . ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية .

ومن السابقين من يقول : سمى المهدى لأنه يهدى إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة يحاج بها اليهود ، فيسلم على يديه جماعة من اليهود !

بم يعرف الإمام المهدى ؟

بالسكينة والوقار .. وبمعرفة الحلال والحرام .. وبحاجة الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد .

ويبقى أنه يكون :

أصغر سنا ، وأجمل ذِكْرا ، ويُوَرِّثه الله علما ، ولا يكله إلى نفسه . كما جاء عَن أبى جعفر الباقر .

الجو المحيط بظهور المهدىّ !![1]

كما صورهُ أحد علماء المسلمين القدامى

وردت الآثار تبين ما يكون لظهور المهدى من العلامات ، وتواترت الأخبار بتعيين ما يتقدم أمامه من الفتن والحوادث والدلالات .

من ذلك :

« **حرب وهرب وإدبار ، وفتن شداد وكُرَبٌ وبوار** » ..

وكلما قيل انقطعت تمادت وامتدت ، ومتى قيل تولَّت توالت واشتدت حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ولا مسلم إلا وصلته !! ومن ذلك سيف قاطع ، واختلاف شديد ، وبلاء عام حتى تُغْبَطَ الرِّمَمُ البوالى[2] .

وظهور نار عظيمة من قِبَل المشرق تظهر فى السماء ثلاث ليال ، وخروج ستين كذابا كل منهم يدعى أنه مرسل من عند الله الواحد المعبود . وخسف قرية من قرى الشام ، وطلوع نجم بالمشرق يضىء كما يضىء القمر ثم ينعطف حتى يلتقى طرفاه أو يكاد .

وحمرة تظهر فى السماء مما يلى الكرخ بمدينة السلام !

وارتفاع ريح سوداء بها ، وخسف يهلك فيه كثير من الأنام .

وبثق فى الفرات حتى يدخل الماء على أهل الكوفة فَيُخْرب كوفتهم .

---

(١) من كتاب عقد الدرر فى أخبار المهدى المنتظر ليوسف بن يحيى المقدسى من علماء القرن السابع .

(٢) يتمنى الأحياء أن يكونوا هم الأموات !

ونداء من السماء يعم أهل الأرض ويسمع أهل كل لغة بلغتهم ومسخ قوم من أهل البدع .

وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم .

وصوت في ليلة النصف من رمضان يوقظ النائم ، ويفزع اليقظان . ومعمعة فى شوال ، وفى ذى القعدة حرب وقتال ، ونهب الحاج فى ذى الحجة !!

ويكثر القتل حتى يسيل الدم على المحجّة[1] ، وتهتك المحارم فى الحرم .

وترتكب العظائم عند البيت المعظم ، ثم العجب كل العجب بين جمادى ورجب !

ويكثر الهرج ، ويطول فيه اللُّبث ، ويقتل ثلث ، ويموت الثلث ، ويكون ولاة الأمر كل منهم جائرا ،ويُمْسى الرجل مؤمنا ويُصبح كافرا ، ولعل هذا الكفر مثل كفر العشير[2] ، فإنه فى بعض الروايات إلى نحو ذلك يشير .

وانسياب الترك ، ونزولهم جزيرة العرب ، وتجهيز الجيوش ، ويقتل الخليفة ، وتشتد الكرب ، وينادى منادى على سور دمشق :

ويل للعرب من شر قد اقترب !

فعند ذلك يخرج الإمام المهدى فيشمر عن ساق جده فى نصرة هذه الأمة لكشف هذه الغمة ، مخلصا فى تخليص البلاد من أيدى الفسقة الفجرة ، كافًّا عن صلحاء العباد أكفَّ المرقة الكفرة ، والظفر مقرون ببنوده ، والنصر معقود بألويته ، وقد فرح أهل السماء وأهل الأرض والطير والوحش بولايته !

---

(١) المحجة وسط الطريق والجادة .

(٢) جحود النعم وعدم الاعتراف بالفضل لأهله ككفر الزوجات العشير .

بعض المؤلفات الواردة فى صدق خبر المهدى

كثيرون هم الذين ألفوا عن « المهدى وإليك بعض المؤلفين :

١ – الشيخ أحمد بن صديق الغمارى ، ردًّا على توهم ابن خلدون .

٢ – المحدث الحافظ أبو نعيم جمع أربعين حديثا فى أخبار المهدى أوردها الإربلى فى كشف الغمة . وله رسالة نعت المهدى أيضا .

٣ – لأبى العلاء الهمدانى أربعون حديثا فى المهدى نقلها الطبرى فى « ذخائر العقبى » .

٤ – الإمام السيوطى فى « العرف الوردى فى أحاديث المهدى » وله أيضا « علامات المهدى » .

٥ – المحدث المتقى الهندى صاحب « كنز العمال » له كتاب « البرهان عن مهدى آخر الزمان » نسخة خطية فى مكتبة « بايزيد » بتركيا تحت « رقم ٨٢٩ » . وله : « تلخيص البيان » فى نفس الموضوع .

٦ – ملا على الطارى له كتاب المشرب الوردى ، فى أخبار المهدى ، منه نسخ كثيرة مبعثرة فى المكاتب العامة بالعالم .

٧ – الإمام ابن حجر الهيتمى له كتاب « القول المختصر » علامات المهدى المنتظر[١] .

٨ – الإمام المحدّث أبو داود السجستانى صاحب السنن له كتاب « المهدى » مطبوع ضمن مسنده بالجزء الرابع .

---

(١) نشرته مكتبة القرآن .

٩ – الإمام الشوكانى الصنعانى السلفى صاحب « سبل السلام » له كتاب « التوضيح » فى تواتر ما جاء عن المهدى ، والدجال ، والمسيح .

١٠ – الإمام ابن القيم السلفى الشهير له كتاب « المهدى » مطبوع ضمن « ينابيع المودة » .

١١ – يوسف بن يحيى المقدسى الشافعى له كتاب « عقد الدر فى أخبار المهدى المنتظر » تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو .

ولا تخلو كتب السنة والتوحيد وعلم الكلام من أخبار المهدى .

المهدى المنتظر فى كلمات وما يصاحبه من آيات

هو رجل من صالحى آل البيت النبوى الموجودين فى ذلك الزمان ، يبايَع له بالإمارة حين فساد من الناس ، ثقة منهم بتقواه ، ورجاء أن يكون صلاح الحال على يديه ، فيقبلها عن كره ، وهو لا يعلم ، وهم لا يعلمون أنه هو « المهدى المنتظر » .

ولا يسبق توليتَه ادعاؤُه أنه هو المهدى ، ولا الدعاية له بذلك ، حتى إذا مارس مهمته ، وتغلب على قوى الشر المحيطة به ، وملأ الأرض عدلا ، كما ملئت جَوْراً فعند ذلك يتبين الناس أنه المهدى الذى نبأت به الأحاديث .

مفتريات :

ومن هذا نعلم : أن من ادعى هذا المنصب لنفسه ، وأقام لذلك الدعايات فهو مفتر كذاب .

ومن الأكاذيب التى لا يصح أن يلتفت إليها القول : بأن المهدى ولد بالفعْل منذ ألف سنة أو أقل ، أو أكثر ، وأنه مختف حتى يؤمر بالظهور .

تعوذه ﷺ من فتنته :

وقد كان ﷺ يستعيذ بالله من فتنته فى آخر صلاته ، ويعلم الأمة ذلك ، كما رواه الشيخان ، وأصحاب السنن ، وغيرهم .

واستحبه فقهاء المذاهب فى آخر كل صلاة ، ولا ينكر ورود الأحاديث فى شأنه إلا أحد الجهال ، أو من هو من إخوان هذا المسيح الدجال !

مسيح الضلال ومسيح الهدى :

ويمكث هذا الخبيث فى الأرض مدة فصّلها رسول الله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة التى رواها الثقات عن أمثالهم إليه ﷺ حتى إذا كان فى آخرها واشتد الكرب على المسلمين فرج الله عن الأمة بنزول :

« مســـيح الهُدَى »

عيسى بن مريم ليقتل مسيح الضلالة ذاك .

ونزول « عيسى بن مريم » عليه السلام فى آخر الزمان من أظهر الأدلة على أن نبينا ﷺ خاتم النبيين ؛ فإنه لما علم الله — سبحانه وتعالى ظهور الدجال الأعظم مسيح الضلالة فى نهاية الزمان .. فى هذه الأمة ، وأن نبيها ﷺ خاتم النبيين لا تنزل النبوة بعده على أحد — أبقى « مسيح الهدى » حيا حتى يُنْزِله لقتل « مسيح الضلالة » فيحيى الشريعة الإسلامية متبعا فى ذلك رسالة محمد ﷺ .

وقد ورد أنه يقدم غيره للإمامة فى الصلاة ويصلى خلفه ، ويقول : « إن إمامكم منكم » تكرمة من الله لهذه الأمة .

ثم يتوفاه الله ، ويذوق الموتة التى كتبها الله على كل بشر .

ثم تتابع العلامات حتى تأتى النفخة وعندها يصعق من فى السموات والأرض إلا من شاء الله !

وتمكث الأرض خرابا فترة ثم يحيى الله الملائكة ، ويعيد الأبدان ، ويأمر بالنفخ فى الصور ثانية فتنطلق الأرواح بإذن الله ، فتدخل كل روح بدنها لا تخطئه ، وعندئذ تكون قيامة الجميع إلى الحشر فى يوم الفزع الأكبر !

ومن الاكاذيب قولهم :

« لا مهدىّ إلا عيسى »

وإنكارهم ظهور المهدى بناء عليه ، ونسبتهم هذا القول إلى النبى ﷺ .

تسلسل الأحداث

وبينما « المهدى » فى جهاد لإعلاء كلمة الله إذ ظهر « المسيح الدجال » !

فتظهر بمجيئه « **فتنة** » قال فيها الرسول ﷺ :

ما بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أعظم من فتنة المسيح الدجال » . أخرجه الحاكم وغيره .

وصح عند البخارى أنه ﷺ : « قام فى الناس خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : « **إنى لأُنذِرُكُموه ، وما من نبى – نوح فمن بعده – إلا وقد أنذره قومه، ألا وإنى آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، فهو خارج فيكم لا محالة ! وإنى قائل لكم فيه قولا لم يقله نبى قبلى لقومه ، لن يشتبه بعده عليكم** : إنه أعور ، **وإن الله ليس بأعور ، واعلموا أنكم لن تروا** ربكم حتى تموتوا ، **وإن الدجال يأتى الناس وهم أحياء** » .

٢ - الدجال الأكبر !!

الدجال أحد الثلاثة الذين ينتظر العالم قدومهم بين يدى الساعة !

فقد روى مسلم من حديث شعبة وغيره ، عن سماك ، عن جابر ، عن سمرة قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **إنْ بين يدى الساعة كذابين** » .

قال جابر : « **فاحذروهم** » !!

وهذه الكلمة الأخيرة من جابر هى عبرة كل الأحاديث الواردة عن الدجال !

« **فاحذروهم** !! »

ومع هذا فقد رأينا الكثيرين - حتى من المثقفين - يقعون فى حبائلهم ، ويسقطون فى شباكهم ، وتنطلى عليهم أباطيلهم ، فيلتفون من حولهم .

ويلقى « **الإمام أحمد** » الضوء عليهم بما رواه عن جابر أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **بين يدى الساعة كذابون ، منهم صاحب اليمامة ، وصاحب صنعاء العنسى ، ومنهم صاحب حمير ، ومنهم الدجال ، وهو أعظم فتنة** » .

قال ابن الأثير :

ويكون المسيح الدجال خاتمهم قبحه الله وإياهم ، وجعل نار الجحيم مُنْقَلَبهم ومثواهم !

ولقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس « **أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم سورة من القرآن يقول : قولوا :**

« اللَّهمَّ إنى أعوذ بك من عذاب جهنم !
وأعوذ بك من عذاب القبر !
وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال !
وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ! »

ففتنة المسيح الدجال هى فتنة يتعرض لها المؤمنون وهذه سنة الله فى خلقه :

﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنون ﴾
[العنكبوت : ١]

لابد أن يتعرضوا للاختبار والامتحان على طول الزمان ، ولابد أن يتعرض له اللاحقون كما تعرض السابقون ، قال مسلم بن الحجاج : بلغنى أن طاوساً - وهو راوى حديث الدجال عن ابن عباس قال لابنه :

أدعوت بها فى صلاتك !
فقال : لا .
قال : أعد صلاتك » انتهى .

وإنما أمر طاوس ابنه بإعادة الصلاة ؛ لأنه كان يرى وجوب الدعاء فى الصلاة بهذه الدعوات الأربع .

ويرى أن المصلى إذا أخلّ بها بطلت صلاته ، وذلك لما فهمه من وجوبها لاهتمام النبى ﷺ بتعليمها الصحابة كما يعلمهم السورة من القرآن ، وأمره لهم بالدعاء بها فى صلواتهم .

وقد روى مسلم فى صحيحه أيضا عن عائشة - رضى الله عنها - « **أن النبى ﷺ كان يدعو فى الصلاة بهذا الدعاء** » .

وروى أيضا عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : يقول : اللهم إنى أعوذ**

بك من عذاب جهنم ..، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » .

تُرى لمَ كل هذا الاهتمام العظيم من النبى الكريم بهذا الدعاء عملا ، وأمراً ، وتعليما ؟!

ليس ذلك إلا لما حواه من عظائم الأمور ، ومنها :

« فتنة المسيح الدجال »

وقد جزم « **ابن حزم الظاهرى** » بفرضية قراءة هذا التعوذ بعد الفراغ من التشهد كما فى كتابه « المحلى ٣/٢٧٧» أخذا من ظاهر حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

أما « **ابن ماجه** » فإنه بعد أن روى فى « **سننه** » حديث أبى أمامة الباهلى وفيه أوصاف الدجال وأحواله ، وأعماله ونزول عيسى عليه السلام قال عقبه :

« **سمعت أبا الحسن الطنافسى يقول : سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول :**

ينبغى أن يُدْفع هذا الحديث إلى المؤدِّب[1] حتى يعلمه الصبيان فى الكُتَّاب »[2] .

ويقول العلامة « **السفارينى** » فى شرح منظومته فى العقيدة الإسلامية المسمى : « **لوامع الأسرار البهية** » :

ينبغى لكل عالم أن يثبت أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال ،ولاسيما فى زماننا هذا الذى اشرأبت فيه الفتن ، وكثرت فيه المحن ،

---

(١) مؤدب الصبيان ومعلمهم ومربيهم .
(٢) **الكُتَّاب** : بكاف مضمومة ، وتاء مشددة مفتوحة : مكان تعليم الصبيان القراءة والكتاب وحفظ القرآن وتجويده .

واندرست[1] فيه معالم السنن ، وصارت السنة فيه كالبدع ، والبدعة شرع يتَّبع »[2] .

وبعد : ففى كل يوم نشهد دجالين لهم طرقهم فى الاحتيال والمكر والخداع يستهوون الناس ، ويستخفونهم فيطيعونهم !

والعرب يقولون : « **الحق أبلج والباطل لجلج** »

وليس بعد الحق إلا الضلال ، فعلينا أن نفتح العيون للدجال الأكبر الذى سيأتى فى آخر الزمان حتى لا ننخدع به :

﴿ **أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون** ﴾ [يونس : ٣٥] .

هذا وتختلف أساليب الدجالين باختلاف العصور والبيئات ، وعلينا أن نتوقع من الحيل والأكاذيب على يد الدجال الأكبر مسيح الضلالة .. الدجال الكذاب ما يفوق الوصف ! وما يلائم هذا العصر !!

وسيظل التحذير قائما حتى قيام الساعة ، وقد أعذر من أنذر ، وعلى الذين لا يستخدمون عقولهم ، ولا يعتصمون بمنهج ربهم أن يجنوا ثمرة انصرافهم عن الحق المبين !!

وقد رأينا نماذج من المتعلمين يقعون فريسة سهلة فى أيد الدجالين !!

ولتطمئن قلوب المؤمنين إلى أن الله سبحانه وتعالى سوف يسلط عليه من يريح الناس منه . فإذا كان هو « مسيح الضلالة » !

فسوف يسلط الله عليه « مسيح الهُدَى » !

لتظل كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى !

وليعلم الجميع أن :

---

(١) **اندرست** : زالت ومحيت .

(٢) كتاب التصريح بما تواتر فى نزول المسيح بتحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة .

من الجن شياطين .. ومن الإنس شياطين .. وستظل المعركة دائرة بين المؤمنين الصادقين ، وبين عدوهم الأكبر إبليس اللعين وجنوده من الإنس والجن أجمعين !!

وإنه ليحاول فى اللحظات الأخيرة أن يكسب إلى صفه أكبر عدد ممكن ، ولن يعدم الوسائل والحيل .. ولن يعدم من بنى آدم من ينفخ فيه ليظهر على ملأ من الناس :

﴿ **يَعِدُهُمْ ويُمَنّيهم وما يَعِدُهم الشيطان إلا غرورا** ﴾ ﴿ **أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها مَحيصا** ﴾ [النساء : ١٢٠ - ١٢١]

يا قومنا :

أجيبوا داعى الله !

﴿ **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا** ﴾
[النساء : ١١٩]

ليس الدجال الأكبر إلا شيطانا مريدا من شياطين الإنس بلغ قمة الشر والفساد ، وأتيح له ما لم يتح لغيره من الدجالين والكذابين السابقين ، فيأخذ فى استهواء الناس والاستخفاف بعقولهم للتأثير عليهم بكل ما لديه من فنون المكر والخداع ! والمعصوم من عصم الله ، واعتصم بمنهجه !!

٣ - نزول عيسى - عليه السلام

وعيسى - عليه السلام - واحد من الثلاثة الذين ينتظر العالم قدومهم بين يدى الساعة ليقوم بمهمة إيمانية ثم يتوفاه الله !

ونزوله ﷺ جائز عقلا ، كما أن صعوده إلى السماء عندما طلبته اليهود لتقتله-هو أمر جائز أيضا ، ولا يترتب على ذلك أدنى محال .

فما المانع - أن الله يصعده إلى السماء وينزله بواسطة الملائكة الذين أعطاهم الله - سبحانه وتعالى القدرة على الصعود والهبوط بين السماء والأرض ؟!

والله - سبحانه - قادر على أن يحفظ حياته من جميع ما يتوهمه المتوهمون فى حَقِّ من يصَّعّد فى السماء ، فإن احتياج الإنسان لتنفس الهواء ما هو إلا أمر عادى ، والله تعالى قادر على حفظ الحياة بدونه ...

ونحن - المسلمين - نؤمن إيمانا راسخا بأن نبينا ﷺ قد أسرى به ربه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السموات السبع وما فوقهن .

وعيسى عليه كلمة الله .. كان له معراج إلى السماء ، فقد رفعه الله إليه وطهره من الذين كفروا بعد أن تآمروا عليه وأرادوا قتله !

وسينزل ليقول للدنيا :

إنه لم يقتل ، ولم يصلب ، ولكن شبه لهم !

سينزل : ليريق الخمر ، ويقتل الخنزير !

سينزل ليقول للجميع : إن محمداً حق ، وأنه هو الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل !

سينزل ليقول لهؤلاء وأولئك : إنه قد سلم العهدة لخاتم الأنبياء والمرسلين بعد أن تسلمها مصونة ممن سبقوه من الأنبياء والمرسلين ؛ فكما وضع عيسى عليه السلام اللبنة قبل الأخيرة فى بيت النبوة جاء خاتم النبيين ليتم البناء ، وليضع اللبنة الأخيرة .

لقد أخذ الله للعهد والميثاق على الأنبياء : ﴿ **لتُؤمِنُنَّ به ولتنصرنه قال : أَقْررْتُمْ وأخذتم على ذَلِكُمْ إصرى ؟ قالوا : أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ .

وها هو ذا عيسى عليه السلام ينزل - وكأنما يعلن هذا التأييد على ملأ من العالم باسمه واسم من سبقه من الأنبياء والمرسلين لشريعة النبى الخاتم ؛ ولهذا يأبى أن يؤم المصلين قائلا : « **إمامكم منكم** » .

إن إبراهيم - عليه السلام - أبا الأنبياء وصى بنيه ويعقوب « بالدين » :

﴿ **يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾
[البقرة : ١٣٢]

كلهم كان داعية للإسلام ، وها هو ذا عيسى عليه السلام « مسيح الهدى » يعلنها على الملأ ، مدافعا عنها مواجها مثيرى الضلالة والفتنة والشقاق والخلاف .

وإذا كانت الدابة سوف تكلم الناس ﴿ **أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ .

تُرى ماذا يقول السيد المسيح وهو كلمة الله ؟

سيقول الكثير لأولئك الذين قالوا : إنه قتل وصلب !

سيقول الكثير لأولئك الذين لما عرفوا ما جاءهم من الحق كفروا به وراحوا يعادون الإسلام والمسلمين .

﴿ **وإنه لعِلْمٌ للساعة** ﴾ [الزخرف : ٦١] . قال المفسرون : وإن عيسى - عليه السلام - بحدوثه بدون أب ، وإبرائه الأكمه والأبرص لدليل على قيام الساعة .

وقال ابن عباس وقتاده : « إن خروج عيسى - عليه السلام - من أعلام الساعة ، لأن الله ينزله من السماء قبل قيام الساعة .

وفى الحديث الذى رواه البخارى :

« يوشك أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكما مقسطا ... »

إدراك أهل الكتاب حقيقة عيسى :

يقول ربنا سبحانه :

﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته** ﴾ [النساء : ١٥٩]

أى : وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته ، وأنه عبد الله ورسوله .

ولكن ذلك الإيمان لا ينفعه لفوات الأوان !

ويوم القيامة يشهد عيسى عليه بأنه بلغ الرسالة ، وأنه عبد الله ورسوله .

﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها** ﴾
[محمد : ١٨]

إن الكافرين والمنافقين لا ينظرون إلا الساعة ، وذلك لأن البراهين قد صحت والأمور قد اتضحت .

وهم لم يؤمنوا ، فلا يتوقع منهم الإيمان إلا عند قيام الساعة حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون !!

أهل الكتاب وعيسى عليه السلام

يقول ربنا سبحانه :

﴿ وإنْ من أهل الكتاب إلا لَيُؤْمِننَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ [النساء : ١٥٩]

إن الله سبحانه وتعالى - لما ذكر فضائح اليهود ، وقبائح أفعالهم ، وشرح أنهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام ، وبين أنه ما حصل ذلك المقصود ، وأنه حصل لعيسى - عليه السلام - أعظم المناصب ، وأجل المراتب - بين أن هؤلاء اليهود الذين كانوا مبالغين فى عدواته ، لا يخرج أحد منهم من الدنيا إلا بعد أن يؤمن به فقال : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به ....** ﴾ الآية

واعلم أن كلمة [إنْ] بمعنى : [ما] النافية . كقوله : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ .

فصار التقدير : وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به .

سؤال قد يخطر بالبال :

ثم إنا نرى أكثر اليهود يموتون ، ولا يؤمنون بعيسى عليه السلام ؟!

والجواب على ذلك من وجهين :

الأول : ما روى عن شهر بن حوشب قال :

قال الحجاج : إنى ما قرأتها إلا وفى نفسى منها شيء !

يعنى « هذه الآية » ، فإنى أضرب عنق اليهودى ، ولا أسمع منه ذلك !

فقلت : إن اليهودى إذا حضره الموت ، ضربت الملائكة وجهه ودبره ،

وقالوا : ياعدوّ الله ، أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول : « آمنت أنه عبد الله ! » .

وتقول للنصرانى : أتاك عيسى نبيا ، فزعمت أنه هو الله ، وابن الله !! فيقول :

« آمنت أنه عبد الله » .

فأهل الكتاب يؤمنون به ، ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان فاستوى الحجاج جالسا وقال :

عمن نقلت هذا ؟ فقلت : حدثنى به محمد بن الحنفية . فأخذ ينكت فى الأرض بقضيب . ثم قال :

لقد أخذتها من عين صافية !

وعن ابن عباس : أنه فسره كذلك ، فقال له عكرمة : فإن خر من سقف بيت أو احترق ، أو أكله سبع ؟

قال : يتكلم بها فى الهواء ، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به . ويدل عليه : قراءة أُبَىّ ﴿ **إلا لَيُؤمُنُنّ به قبل موته** ﴾ بضم النون – على معنى : وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم ؛ لأن أحدا يصلح للجمع .

قال صاحب الكشاف : والفائدة فى إخبار الله تعالى بإيمانهم بعيسى قبل موتهم – أنهم متى علموا أنه لابد من الإيمان به لا محالة فلَأَنْ يؤمنوا به حال ما ينفعهم ذلك الإيمان أولى من أن يؤمنوا به حال ما لا ينفعهم ذلك الإيمان .

واختار الطبرى : أن الضمير فى ﴿ قبل موته ﴾ يعود على عيسى – عليه السلام – ويصبح المعنى :

لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسى قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة .

هذا فهم ، وذاك فهم .

والأول هو اختيار أبى السعود والكشاف والجلالين .

٤ – خروج يأجوج ومأجوج

خروج « **يأجوج ومأجوج** » علامة من علامات الساعة الكبرى !

ويحب القارىء – المسلم – أن يلم بكل ما يخطر بالبال من تساؤلات حول هذه العلامة الكبرى ... ومن حقه أن يعرف :

- من « يأجوج ومأجوج « ؟
- ومن أين يخرجون ؟
- وماذا يمثلون ؟
- وأين يقع سدهم على خريطة عالمنا ؟
- وإذا كانوا هم « التتار والمغول » فكيف يكون تخريبهم علامة من علامات الساعة القريبة ؟ وحتى الآن لم تأت أى من العلامات الكبرى التى تواكب خروجهم ؟

ونقول :

« يأجوج ومأجوج » أمتان عظيمتان جاء ذكرهما فى القرآن الكريم ، وأخبرنا القرآن أن « ذا القرنين » سد عليهما طريق خروجهما من أرضهما بالسد الذى اصطنعه ، وأن ذا القرنين قال ما معناه :

إذا جاء وعد ربى جعله دكاء « أى منهدما » .

ولقد فسر المفسرون مجىء وعد الله ، بمجىء يوم القيامة (أى قربه) .

وقد جاءت أحاديث صحيحة بتفصيل خروج « يأجوج و مأجوج » فى آخر الزمان ، وأن على كل مكلف الإيمان بذلك .

ويقول علماء المسلمين : إن خروجهم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

أما الكتاب فيقول الله تعالى :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ .

[الأنبياء : ٩٦]

وأما السنة :

فقد روى مسلم عن النواس بن سمعان عن النبى ﷺ أنه قال :

« إن الله تعالى يوحى إلى « **عيسى بن مريم** » بعد قتله « **الدجال** » أنِّى قد أخرجت عباداً لى لا يَدانِ[1] لأحدٍ بقتالهم ؛ فحرّز عبادى إلى الطور[2] !!

ويبعث الله « يأجوج ومأجوج » وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة « **طبرية** » فيشربون ما فيها !

ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه ماء !! ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار » .

وروى ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد :

قال ﷺ لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات :

- طلوع الشمس من مغربها .
- والدُّخَــان .
- والــدّابّــة .
- ويأجوج ومأجوج .
- ونزول عيسى بن مريم .
- وثلاث خسوفات .
- ونار تخرج من قعر عدن .

وهو فى مسلم من حديث « **أبى الطفيل بن أسيد الغفارى** » ولفظه :

---

(١) لا قدرة ولا قوة ولا طاقة لأحد بقتالهم .
(٢) ضمهم ، واجعله لهم حِرْزاً .

« اطّلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال :

ما تذكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ! قال : إنها لن تقوم حتى تُرى قبلها عشرُ آيات :

فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف :

- خسف بالمشرق .
- وخسف بالمغرب .
- وخسف بجزيرة العرب .

وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

ورواه من وجه آخر ، وكنى حذيفة بأبى سريحة وقال فيه :

« ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » .

ونعود فنقول :

هل هم من نسل حواء ؟

سئل الإمام النووى : هل « يأجوج ومأجوج » من ولد حواء ؟ وكم يعيش كل منهم ؟

فأجاب : هم من ولد آدم وحواء عند أكثر العلماء !

وقال الحافظ بن حجر : لم يثبت فى قدر أعمارهم شىء .

وقد ذكر « ابن عبد البر » الإجماع على أنهم من ولد « **يافث** » بن نوح عليه السلام .

فقد قال المؤرخون : أولاد نوح ثلاثة :

سام ، وحام ، ويافث ، فسام : أبو العرب ، والعجم ، والروم ، **وحام** : أبو الحبشة والزنج ، والنوبة ، **ويافث** : أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج .

خروجهم من وراء السد :

إن خروجهم من وراء السد - إذن - حق ثابت لوروده فى القرآن الكريم ، وثبوته عن سيد المرسلين ، ولا يحيله العقل ، فوجب اعتقاده .

فلقد روى الجماعة إلا - أبا داود - من حديث « زينب بنت جحش » - رضى الله عنها - قالت :

خرج الرسول ﷺ فزعا مُحْمَرًّا وجهه يقول :

لا إله إلا الله ، **ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم « يأجوج ومأجوج » مثل هذه » وحلق بإصبعيه الإبهام والتى تليها ، (أى جعلهما مثل الحلقة - إشارة إلى أن الذى فتح منه قليل) .**

قالت : قلت يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » .

مع المفسرين القُدامى والمحْدَثين

يقول ربنا – سبحانه – فى سورة الأنبياء :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ [الآية : ٩٦]

جاء فى صفوة التفاسير :

حتى إذا فتح سد « يأجوج ومأجوج » وهم لكثرتهم من كل مرتفع من الأرض ، ومن كل أَكَمةٍ وناحية يسرعون النزول .

والمراد :

أن « يأجوج ومأجوج » لكثرتهم يخرجون من كل طريق للفساد فى الأرض .

﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ . اقترب وقت القيامة .

وقد قال المفسرون : جعل الله خروج « يأجوج ومأجوج » عَلَماً على قرب الساعة .

قال ابن مسعود(١) : « الساعة من الناس – بعد يأجوج ومأجوج – كالحامل المُتِمّ(٢) لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلا أو نهارا » .

ويقول أبو الأعلى المودودى فى تفسير سورة الكهف : الأقرب إلى الصواب : أن يأجوج ومأجوج هم قبائل روسيا وشمال الصين المعروفة بأسماء :

---

(١) زاد المسير ٣٨٩/٥ .

(٢) التى جاء أوان ولادتها بعد أن أتمت أشهر الحمل واكتمل الجنين فى بطنها .

التتار ، والمغول ، والهون ، والسيث ، وغير ذلك ، وكانت تغير على الدول المتحضرة من قديم الزمان .

والمعروف كذلك أن استحكامات « دربند » و « دربال » قد بنيت حول جنوبى القفقاز اتقاء لهجماتهم . إلا أنه لم يثبت حتى الآن أن « كورش » هو الذى بناها .

ومما هو جدير بالذكر أن مولانا أبوالكلام آزاد والشيخ عبد الجليل عيسى قد ذهبا إلى ما ذهب إليه أستاذنا المودودى من أن ذا القرنين المذكور فى القرآن هو « كورش » على الأرجح .

ويقول سفر حزقيال – الأصحاح الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون – إنهم يسكنون فى روسيا ، وتوبل ، (توبالسك الحالية) ومسك (موسكو الآن) .

وقال المؤرخ اليهودى « يوسيفوس » · إنهم السيث الذين سكنوا شمال وشرق البحر الأسود .

ويقول « جيروم » إن مأجوج سكنوا شمال القفقاز قرب بحر الخزر .

وجاء فى « المنتخب »

حتى إذا فتحت « أبواب الشر والفساد » وأخذ « أبناء يأجوج ومأجوج » يسرعون خفافا من كل مرتفع فى الجبال والطرق بعوامل الفوضى والقلق .

﴿ **واقترب الوعد الحق** ﴾ . واقترب الموعود به الذى لابد من تحققه وهو يوم القيامة ، فيفاجأ الذين كفروا بأبصارهم لا تغمض أبدا من شدة الهول ، فيصيحون قائلين :

ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر والعناد .

وجاء فى التفسير الوسيط :

حتى إذا فتحت « يأجوج ومأجوج » على ما هى عليه من الهلاك إلى وقت فتح أبواب الشر من يأجوج ومأجوج ، وخروجهم من كل مكان مرتفع من الجبال ، والهضاب يسرعون إلى البغى والعدوان على خلق الله .

والآية واضحة الدلالة على أن خروج « يأجوج ومأجوج » من علامات الساعة كما يدل عليه قوله تعالى :

﴿ **واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ...** ﴾ الآية . وذلك لأن جملة ﴿ **اقترب الوعد الحق** ﴾ معطوفة بالواو على جملة : ﴿ **فتحت يأجوج ومأجوج** ﴾ داخلة معها فى حَيِّزِ الشرط ، فكأنه قيل : فإذا فتحت يأجوج ومأجوج ، واقترب بذلك الوعد الحق ، فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا .. حيث فاجأتهم القيامة بأهوالها كما يدل عليه حديث مسلم وأبى داود وغيرهما فقد جاء فيه :

« إن الله يبعث يأجوج ومأجوج ، وهم كما قال الله تعالى : ﴿ **من كل حدب ينسلون** ﴾ فيرغب عيسي - عليه السلام - وأصحابه إلى الله - عز وجل - فيرسل عليهم نَغَفاً فى رقابهم ، فيصبحون موتى كنفس واحدة ... » الحديث .

وقد يتساءل من يتابع الموقف بعد هلاكهم قائلا : ثم ماذا ؟

وتأتى الإجابة فيما رواه النواس بن سمعان - رضي الله عنه - كما جاء فى صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : « فبينما هم - يعنى عيسى بن مريم وأصحابه - كذلك أى فى ذلك العيش الرغد ، وقد هلك عدوهم إذ بعث الله تعالى ريحا طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » والله أعلم .

---

(١) **النغف** : دود أبيض يكون فى النوى إذا أنقع . قاله أبو عبيد .

ومن العلماء من قال : إن « يأجوج ومأجوج » هم التتار ، وأنهم فتحوا السد الذى بناه « **ذو القرنين** » وعاثوا فى الأرض فسادا ، ويعرف هذا السد بسَدّ « **باب الحديد** » وراء جيحون - بين سمرقند والهند ، كما يشتهر بسد الصين .

وقد اجتازه « تيمور لنك » بجيوشه المخربة ، ومربه « شاه روح » وكان فى خدمته رجل ألمانى يدعى « سيلد برجر » وجاء ذكر هذا السد فى كتابه كما تحدث فيه عن مرور « الشاه » به ، وكان ذلك فى أوائل القرن الخامس عشر »[١]

ولعله يشهد لصحة هذا القول ما أخرجه مسلم بسنده عن أم حبيبة بنت أبى سفيان أن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ قالت : خرج رسول الله ﷺ فزعا محمرًّا وجهه يقول :

لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ... »[٢] الحديث . وقد سبق أن قدمناه وهو يُؤذن بأن بدايةَ فتح السد قد حدثت فى عهده ﷺ ، وقد توقع النبى ﷺ من ذلك شرًّا كثيرا على العرب !

وقد وقع ذلك فى غزوات التتار على البلاد الإسلامية ، وقتلهم الخليفة فى بغداد ، وإلقائهم كتب العلم والتراث الإسلامى فى نهر دجلة ، وقتلهم أعدادا هائلة من المسلمين ، واستيلائهم على البلاد الإسلامية حتى الشام حيث هزمهم جيش مصر فى معركة « **مرج دابق** » .

---

(١) من تفسير الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى ج ٩ ص ١٩٨
(٢) الحديث الثانى من كتاب الفتن من صحيح مسلم .

رأى المحْدثين !!
سؤال هام وجوابه

إذا كان سد يأجوج ومأجوج قد فتح كما يشير إليه حديث مسلم المذكور ، وكما دلت عليه أحداث التتار بعد تحطيم سد الصين الذى اشتهر بأنه « سد يأجوج ومأجوج » فكيف يكون تخريبه من علامات الساعة القريبة ، فى حين أن الدنيا لا تزال كما هى دون أن تحدث أشراط الساعة الكبرى ، ومنها نزول عيسى عليه السلام ؟

ألا يحتمل أن يكون « يأجوج ومأجوج » لا يزالون وراء سدهم فى مكان آخر من الأرض ، وأنه لم يفتح بعد ؟!

ونقول : كيف يحتمل ذلك والأقمار الصناعية صورت كل أنحاء الأرض ، والطائرات طارت فوق أقطارها وبحارها فلم يبق فى أرض الله مكان خفى من عدسات التصوير أو عن العيون ؟!

وكيف تكون هناك أمتان بهذا الخطر ، وبهذه الكثرة التى تحدثت الأخبار عنها ولا يعثر لهم على مكان ؟ فضلا عن أن بلاد الله ، كلها مفتوح بعضها على بعض ، وأصبحت متصلة بشتى وسائل الاتصال ، فأين يوجدون ؟!

وقد جاء فى التفسير الوسيط - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - بعد هذا التساؤل :

لهذا نرى أن « يأجوج ومأجوج » اسمان مأخوذان - كما قالوا - من أجّ الظليم[1] إذا أسرع .

---

(١) الظليم ذكر النعام .

أو من أجيج النار : وهو اتقادها .

وعلى هذا يمكن أن تطلق هذه التسمية « يأجوج ومأجوج » على **ذوى الغلبة والقهر من أهل الفساد !!**

وقد أطلقهما الله فى سورة الكهف على « **صنف حجزهم ذو القرنين بسده ، ثم فتحوه** » .

وأطلقهما هنا على « **صنف خطير آخر يخرج فى آخر الزمان فى عهد عيسى – عليه السلام – قرب قيام الساعة ويكون من علاماتها** » .

وقد عبر الله سبحانه وتعالى – عن خروجهم حينئذ بالفتح فى قوله : ﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج** ﴾ على سبيل الكناية للإيذان بأن أبواب شرهم تفتح على مصاريعها بعد أن كانت مغلقة .

كما تقول فتح العدو شره على الآمنين !

« **فيأجوج ومأجوج** » اسم « **كنائى** » لأمة شديدة الجبروت تظهر آخر الزمان غير **التتار الذين احتجزهم ذو القرنين** بسده ، واجتاحوا السد فى القرن الخامس عشر ، وقد دل حديث مسلمٍ على فتحه . والله أعلم

الخسْف

روى ابن ماجه من حديث حُذيفة بن أَسِيد قال : قال ﷺ :

لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات :

طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى بن مريم ، وثلاث خسوفات، ونار تخرج من قعر عدن » .

وهو فى مسلم من حديث أبى الطفيلى بن أسيد الغفارى ، ولفظه : قال :

اطّلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال :
ما تذكرون ؟
قالوا : نذكر الساعة ، قال :
إنها لن تقوم حتى تُرى قبلها عشرُ آيات »

فذكر الدخان ، والدجّال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » .

ورواه من وجه آخر ، وكنى حذيفة بأبى سريحة ، وقال فيه : « **ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس** » .

وإذا تأملنا فى كتاب الله عما وقع من تهديد القرآن للكافرين والجاحدين بالخسف نجد الآية التاسعة من سورة سبأ تقول :

﴿ إنْ نشأ نخسف بهم الأرض
أو نُسقط عليهم كسِفاً من السماء
إن فى ذلك لآية لكل عبدٍ منيب ﴾

[سبأ : ٩]

وتواجه الآية الكريمة بما تحمله من تهديد كل أولئك الذين عَمُوا عن مشاهدة ما هو محيط بهم من جميع جوانبهم من السماء والأرض ؛ فإن الإنسان أينما توجه ، وحيثما نظر رأى السماء والأرض أمامه وخلفه ، وعن يمينه ، وشماله ، وهما يدلان على وحدة الصانع ، لكنهم عمُوا وصَمُّوا ، ولهذا كان تهديدهم : **﴿ إن نشأ نخسف بهم الأرض ﴾** .

أى لو شئنا لخسفنا بهم الأرض كما فعلنا بقارون !

﴿ أو نسقط عليهم كسفا من السماء ﴾

أو أسقطنا عليهم قطعا من السماء ، كما فعلنا بأصحاب الأيكة . فمن أين لهم المهرب ؟!

قال ابن الجوزى : المعنى – أين كانوا فأرضى وسمائى محيطة بهم ، وأنا القادر عليهم ، إن شئت خسفت بهم الأرض وإن شئت أسقطت عليهم قطعا من السماء .

لقد كانت لديهم الفرصة ، فإن فيما كانوا يشاهدونه من آثار القدرة والوحدة عبرة لكل تائب رجّاع إلى الله ، متأمل فيما يرى !

لكنهم أضاعوا الفرصة ، وانتهى الوقت ، فلم لا يشهدون ما يملأ نفوسهم خوفا وفزعا ورعبا؟! حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا !!

ومن يتأمل فى سورة « سبأ » يجدها قد تناولت قضية هامة هى : إنكار المشركين للآخرة ، وتكذيبهم بالبعث بعد الموت ، فأمرت الرسول ﷺ أن يقسم بربه على وقوع المعاد بعد فناء الأجساد !

﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل : بلى وربى لتأتينكم ﴾
[سبأ : ٣]

ويقول البيضاوى : هى إنكار لمجيئها ، أو استبطاءٌ استهزاءً بالوعد .

ويقول ربنا سبحانه لنبينا ﷺ :

﴿ قل بَلَى وربى لتأتينكم ﴾

أى قل لهم يامحمد : أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة ؛ فإنها واقعة لا محالة .

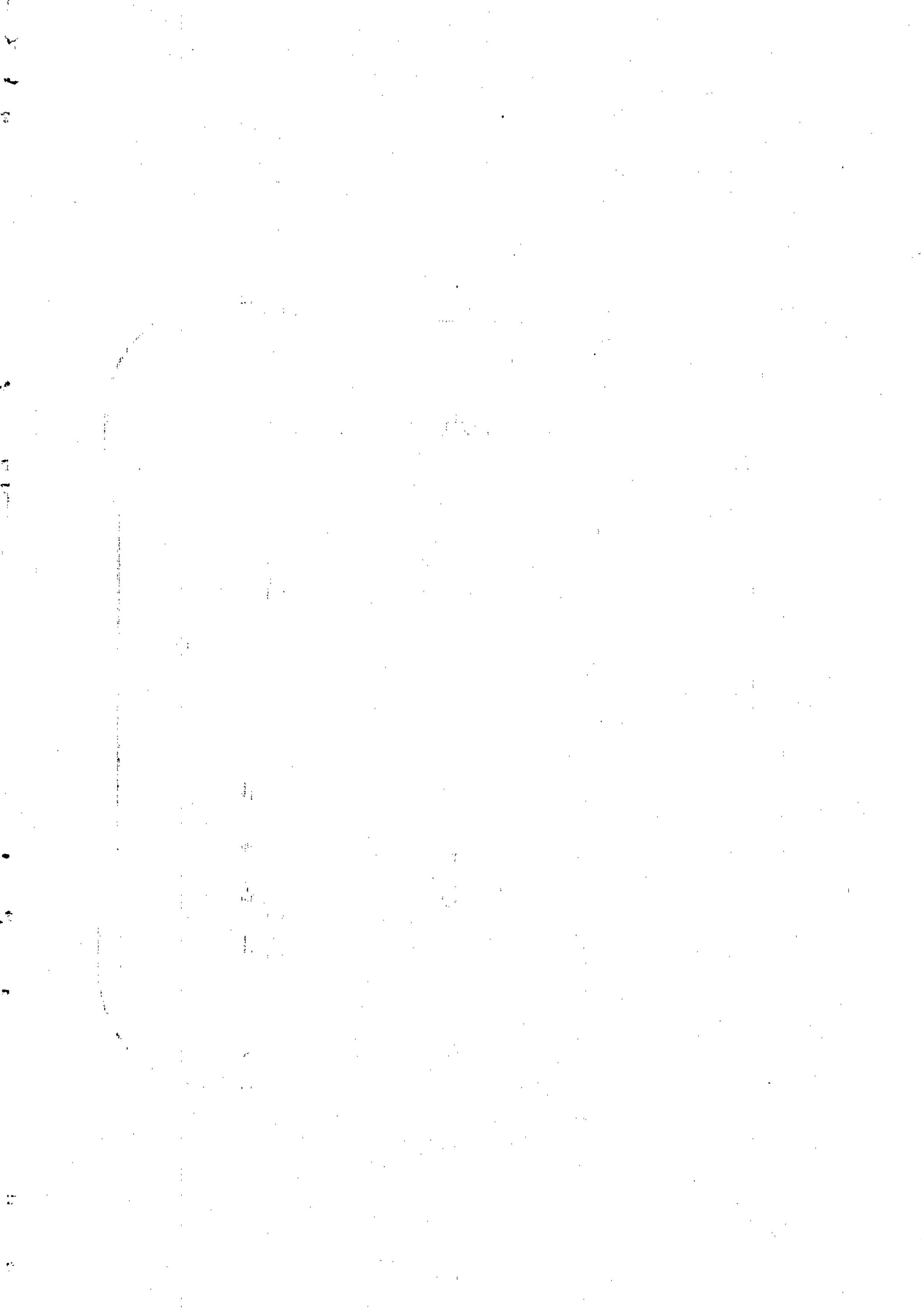
قال ابن كثير : هذه **إحدى** الآيات الثلاث التى أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوعها ، **والثانية** فى سورة يونس : **﴿ قل إى وربى إنه لحق ﴾** **والثالثة** فى سورة التغابن **﴿ قل بلى وربى لتُبْعَثُنَّ ﴾** .

وليس لأولئك المكذبين بعد أن ضيعوا كل الفرص إلا الخسف !

الفصل الثالث

أمارات وقوع الساعة

- الدخـان .
- طلوع الشمس من مغربها .
- خروج الدابة تكلم الناس .
- النار تحشر الناس .



١ - الدُّخَـانُ

من الظواهر الكونية التى تناولها علماؤنا ظاهرة « الدُّخَان » الذى يملأ ما بين السماء والأرض !

ومن حق القارىء المسلم أن يجد إجاباتٍ صريحةً وواضحة لكل ما يخطر بباله من تساؤلات حول هذه الظاهرة .

● هل هذه الظاهرة الكونية قد مضت ورآها السابقون الأولون ؟ أو هى باقية مازالت ترتقب ،وستأتى مُواكبة ومصاحبة لقيام الساعة ؟ أم أن هناك دخانا قد سبق وآخر سيأتى ؟

● كيف تبدو تلك الظاهرة لكل من المؤمن والكافر ؟ وعلى أى وجه يكون تأثيرها فى كل منهما ؟ وكم تمكث من الأيام ؟

● هل « آية الدخان » ثابتة بالقرآن والسنة ؟ وإليك البيان :

قال ابن جرير : حدثنى محمد بن عوف عن أبى مالك الأشعرى - رضى الله عنه - قال :

قال رسول الله ﷺ : « **إن ربكم أنذركم ثلاثا :**

الدُّخان يأخذ المؤمن كالزَّكْمـة .

والثانيــة الدابــة .

والثالثة الدجـال » .

رواه الطَّبرىّ ، وقال ابن كثير فى التفسير : « هذا إسناد جيد » .

● وقال ابن جرير أيضا :

حدثنى يعقوب ... عن عبد الله بن أبى مليكة قال : غدَوْنا على ابن عباس - رضى الله عنهما - ذات يوم ، فقال :

ما نمتُ اللَّيلةَ حتى أصبحت !

قلت : لِمَ ؟ قال :

قالوا : طلع الكوكبُ ذو الذَّنب ، فخشيتُ أن يكون الدُّخانُ قد طرق ! ؛ فما نمت حتى أصبحت !! »

ويقول ابن كثير فى التفسير : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - حَبْر الأُمَّة ، وترجمان القرآن .

ومما يدل أيضا على أن « **الدُّخان** » من الآيات المنتظرة موافقة عدد من الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم - لما رآه ابن عباس .

وقد وردت أحاديث صحاح وحسان تناولت هذه الظاهرة وتعطى الدليل المقنع على صحتها .

فها هو ذا الصحابى الجليل عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - يقول : « **يخرج الدُّخان ، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل فى مسامع الكافر ، والمنافق ، حتى يكون كالرأس الحنيذ - أى : كالرأس المشوى على الجمر** »(١) .

وقد جاء تفسير الدُّخان بهذا المعنى عن عدة من أَجلَّاء الصّحابه ، رفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ : كأبى سعيد الخُدْرى ، وأبى مالك الأشعرى - رضى الله عنهما -

ووقفه بعضهم ولم يرفعه كعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - .

آية الدُّخان هل هى ثابتة بالكتاب والسنة ؟

قال بعض العلماء : إن « **آية الدخان** » ثابتة بالكتاب أيضا .. ودليلهم قول الله تعالى فى الآية العاشرة وما بعدها من سورة الدخان :

---

(١) رواه ابن جرير فى تفسيره : ٢٥ - ٦٨ .

﴿ فارتقبْ يوم تأتى السماءُ بِدُخانٍ مبين ﴾ .

قال ابن عباس وابن عمر - رضى الله عنهم - ، والحسن وزيد بن على ، - رحمهم الله تعالى - :

هو دُخانٌ قبل قيام الساعة ، يدخل فى أسماع الكافرين والمنافقين ، كهيئة الزّكام ، وتكون الأرض كلها كبيت أُوقد فيه.

ولم يأت بعـــــد ..
وهـــو آتٍ .

وعلى هذا تكون « آية الدخان » قد ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة ، وهى أيضا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الإلهية .

الرأى الآخــــر :

جاء فى سبب نزول « سورة الدُّخَان » عن ابن مسعود قال : « إن قريشاً لما استعصت على النبى ﷺ دعا عليهم بسنين كِسنِىّ يوسف ، فأصابهم قحط وجهد ، حتى أكلوا العظام ؛ فجعل الرجل ينظر إلى السماء ، فيرى ما بينه وبينها كهيئة « الدخان » من الجهد ، فأنزل الله :

﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ .

فأتِىَ رسول الله ﷺ فقيل : يارسولَ الله :

« اسْتسْقِ لمضَرَ فإنها قد هلكت[1] ، فاستسقى ، فسُقوا ، فنزلت : ﴿ إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ﴾ . فلما أصابتهم الرفاهية ، عادوا إلى حالهم ؛ فأنزل الله : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾[2] .

---

(١) يصف ابن مسعود ما كان قد حل بهم فيقول : فأصابهم الجَهد ، حتى أكلوا الجيف ، وكان الرجل يحدث أخاه ، ولا يراه لشدة « الدخان » المنتشر بين السماء والأرض ، وقد طُلب من الرسول ﷺ أن يدعو لهم بالسقيا ونزول المطر وهو ما يسمى « بصلاة الاستسقاء » .

(٢) الحديث . أخرجه البخارى عن عبد الله بن مسعود . والبطشة الكبرى كانت يوم بدر .

ويقول عبد الله بن مسعود :

خمس قد مَضَين :

١ - الدخان . ﴿ يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾

٢ - والروم . ﴿ غُلِبت الروم فى أدنى الأرض ... الخ ﴾
[الروم : ١]

٣ - والقمر . ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾
[القمر : ١]

٤ - والبطشة . ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾
[يوم بدر]

٥ - واللِّزَام . (واللزام : القتل) [يوم بدر »

وبهذا يتجلى لنا أن كلام ابن مسعود موافق لظاهر الآية ، فلا دليل فيها لما ذهب إليه الجمهور ، وإنما دليلهم السنة .

وقفة للتوفيق بين ما قيل :

تقول كتب التفسير :

وكأن ذلك لم يبلغ ابن مسعود - رضى الله عنه - حين أنكر ... على أنه ورد عنه أيضا أنه كان يقول :

هما دُخَانَان :

مضى واحد ، والذى بقى يملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة ، وأما الكافر فيشق مسامعه .

وقفـة مع النفس :

هل آن لنا أن نَسْتَشعر نعم الله علينا فى أرضه وسمائه ؟!

وهذا الكون المسخر لنا .. ألا يستحق منا أن نسجد لله شكرا، وأن نعود إليه لنعمل بمنهجه ؟!

إن كفران النعم كفيل بزوالها ، فلماذا لا نتمتع بما خلق الله لنا ، ونعيش حياة متفائلة راضية ؟!

هذا شاعر مهجرى يخاطب أختا له فيقول :

أصْغِى إلى صوتِ الجـدا ول جاريات فى السُّفـوح
واستنشقى الأزهار فى الـ جنات ما دامت تفـوح
وتمتعى بالشهب فى الـ أفلاك ما دامت تلـوح
من قبـل أن يأتى زمـان نٌ كالضباب أو الدخـان
لا تُبْصِرينَ به الغدير
ولا يَلَذُّ لك الخريـر
لتكن حيـاتُك كُلّهـا أمـلا جميـلا طيّبـاً

والأمل العظيم فى الله عندما نبتغى رضاه .. فهل آن أوان التوبة ؟!

٢ - طلوع الشمس من مغربها أول الآيات التى ليست مألوفة

جاء فى « فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير » للعلّامة السيوطى - شرح العلّامة المناوى :

« **إنّ أولَ الآيات خروجاً :**

- **طلوع الشمس من مغربها .**
- **وخروج الدابة على الناس ضحى .**

وأيَّتُها كانت قبل صَاحِبَتِها فالأُخرى على إثْرها قريبا »[1] .

قال ابن كثير :

« إن أول الآيات التى ليست مألوفة .

وإن كان الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج قبلها ؛ لأنها أمور مألوفة ، إذ هم بشر مثلهم » .

وإذا كانت الشمس فى طلوعها من مغربها آية سماوية ، غير مألوفة ، فإن خروج الدابة على الناس ضحى على شكل غريب غير معهود ، تخاطب الناس ، وتكشف أمر إيمانهم - من الأمور الخارجة عن مجارى العادات .

إن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية ، كما أن خروج الدابة أول الآيات الأرضية بالمعنى المذكور .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ، ومسلم فى صحيحه ، واللفظ لمسلم . وكذلك أبو داود وابن ماجه فى الفتن عن ابن عمرو بن العاص .

ولكن ما الحكمة فى طلوعها من مغربها ؟!

كثيرا ما يتساءل الآخرون عن الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها آية مقاربةً قيام الساعة ؟!

وقد أجاب السابقون عن هذا التساؤل بقولهم :

إن فى ذلك إيماءً وإشارةً ودليلا على طلوع جميع الأرواح من الأشباح !

ولعل الحكمة – كما يقول القرطبى فى تدكرته – : « أن إبراهيم – عليه السلام – قال لنمروذ :

﴿ فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

ولقد ظل هذا التحدى قائما لكل قوى البشر !

وفى عصر العلم و « التكنولوجيا » وغزو الفضاء ، والأقمار الصناعية لم نر من يقول من الملحدين الضالين : هأنذا أستطيع .

لم يبق إلا أن يشهد أولئك الذين ظنوا أنهم قادرون عليها – أمر الله القادر وحده على خرق نواميس الكون .

وهنا يتجلى الله فى قمة عصر العلم !! إن الشمس آية من آيات الله ، وإن اعتياد الإنسان ، وإلْفه لطلوع الشمس من مشرقها يفقده الإحساس بها ، ولا يتنبه إلى هذه الآية العظيمة إلا حين يَفقدها ، وحين يتغير الوضع يدرك الجميع أن هناك إرادة عليا ، وقدرة عظمى وراء هذا التغير .

وتتملك المنكرين الدهشة ، ويستولى عليهم العجب مما يرون !!

إن الثوابت تصبح متغيرات ..

إن وراء هذا المتغيِّر خالقا لا يتغير !!

ولكن كيف الوصول إلى رضاه ؟

لا شيء غير منهج الله !

لقد كان المنجمون والملحدون ينكرون ذلك ، وهاهم أولاء يرونها تطلع من المغرب !؛ حيث يُريهم الله سبحانه وتعالى قدرته من أن الشمس فى قدرته ، إن شاء أطلعها من المشرق ، وإن شاء أطلعها من المغرب .

ولله المشرق والمغرب !

وهنا فقط تنصرف نفوس العاصين والمغضوب عليهم والضالين إلى التوبة !!

ولكن هل تقبل توبتهم ؟

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال :

لا يُقبل من كافر عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيرا يومئذ ؛ فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل منه . كذلك من كان مؤمنا مذنبا فتاب من الذنب قبل منه .

وكأنى بكل معرض عن الحق قد فاجأته أشراط الساعة كما فاجأ فرعون الغرق فراحت تدوى فى آذانهم الآية الكريمة :

﴿ ءآلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ ؟!

[يونس : ٩١]

فهلّا بادرنا بالتوبة ؟!

إلى المعرضين المكذبين ...

انتظروا أحد هذه الأمور :

يقول الله سبحانه وتعالى فى « **سورة الأنعام** » :

﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ..

أو يأتىَ ربّك ...

أو يأتىَ بعضُ آيات ربك ..

يوم يأتى بعضُ آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً !!

قُل انتظــروا إنـــا منتظـــرون ﴾ [الآية : ١٥٨]

بعض آيات ربك :

من المفسرين من فسر ﴿ بعض آيات ربك ﴾ بأشراط الساعة ؛ بدليل قوله عقبه : **﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ﴾** .

أى : يوم يحدث شرط من أشراط الساعة ، لا يقبل من نفس إيمان ولا عمل صالح بعد ظهور الشرط وأحداثه ؛ إذ لا ينفع النفس إلا ما قدمته قبل ظهور أىٍّ من أشراط الساعة ؛ لأن وقت التكليف الاختيارى قد فات !

وتناقش الآية موقفهم من قضية الإيمان :

لقد قامت الحجة على وجوب الإيمان ، ولم يؤمن هؤلاء ! فماذا ينتظرون ؟!

هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلا بدل البشر ؟ أو شاهدين على صدق محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء ، ولا نبى بعده ؟!

هل ينتظرون أن يأتيهم ربنا ليروه ، أو يشهد بِصدقه ﷺ ؟!

هل ينتظرون أن تأتيهم بعض علامات ربنا لتشهد على صدق محمد ﷺ ؟!

ولكن عندما تأتى علامات ربنا ، مما يلجئهم إلى الإيمان ، لا ينفعهم إيمانهم ؛ لأنه إيمان اضطرار ، ولا ينفع العاصى أن يتوب ، ويطيع حينذاك ، فقد انتهت مرحلة التكليف !!

لهذا كله قال الله لنبيه ﷺ :

قل لهؤلاء المعرضين المكذبين : انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة ، واستمروا على تكذيبكم ، إننا منتظرون حكم الله فيكم !

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً :

١ - طلوع الشمس من مغربها .

٢ - والدجال .

٣ - ودابة الأرض » .

قال الطبرى : فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ **يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل** ﴾ .

هو طلوع الشمس من مغربها . أى : يوم يأتى بعض أشراط الساعة ، وحينئذ لا ينفع الإيمان نفسا كافرة آمنت فى ذلك الحين ، ولا نفسا عاصية لم تعمل خيراً !!

فبعد مجىء تلك الآية العظيمة وهى طلوع الشمس من مغربها لا ينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن ؛ لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله ، فحكم إيمانهم حينئذ ، كحكم إيمانهم عند قيام الساعة !

وفى الحديث الذى أخرجه البخارى :

« لا تقوم الساعة ، حتى تطلع الشمس من مغربها ؛ فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .

٣ - خروج الدَّابَّة من الأرض إيذاناً بيوم العَرض !!

وسوف يثير هذا العنوان فى النفس تساؤلات :

- أصغيرة هى أم كبيرة ؟
- وهل تتولد من الأرض أم من دوابها ؟
- وبأى لغة تكلم الناس ؟
- وما المراد بوقوع القول عليهم فى قوله تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم** ﴾ ؟ [النمل : ٨٢]
- وأى سر فى مجىء « **آية الدابة** » مواكبة لقيام الساعة ؟

وما الفيصل فى أمور الغيب من الدابة ونحوها ؟

تساؤلات كثيرة تثور فى النفس ، ومن واجبنا أن نضع النقط على الحروف - كما يقولون - وأن نسلط الأضواء الكاشفة حتى تبدو الحقيقة واضحة جلية تستريح لها نفس المؤمن ويطمئن قلبه .

يقول ربنا - سبحانه وتعالى - :

﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ [النمل الآية : ٨٢]

وفى الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال :

« **إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدّابة**

على الناسِ ضُحىً ، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرى على إثْرها قريباً منها »(١) .

وحين نعود للآية الكريمة التى تناولت إخراج الله سبحانه وتعالى للدابة التى تكلم الناس نجد أن قريشا كانت تنكر البعث بقولهم :

﴿ متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ [النمل : ٧١]

فذكر الله تعالى : أنه سوف يقضى بينهم بحكمه ، وسلّى نبيه عن تكذيبهم إياه بأنه ﷺ :

لا يُسْمع الموتى ..
ولا يُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إذا ولَّوْا مُدْبرين ..
وأنه لا يهدى هؤلاء العُمى عن ضلالتهم ..

ومعنى هذا أن هناك غدا قريبا أو بعيدا سوف يَلْقَوْن فيه مصيرهم !

ولهذا نجد أن هذه الآيات والتى بعدها إنما جاءت لتأكيد مجىء الساعة، وقضاء الله عليهم بما يستحقون من العذاب الهُون .

والمراد بوقوع القول عليهم: قرب نزول العذاب الذى وُعِدوا به فى نحو قوله تعالى :

﴿ ولكن حقَّ القولُ مِنّى : لأملأن جهنم من الجِنَّةِ والناس أجمعين ﴾ [سورة السجدة : ١٣] .

وذلك عندما يصير الناس إلى حد لا تُقْبَل توبتُهم ، ولا يُولَد لهم ولد

---

(١) أخرجه مسلم فى باب « خروج الدجال ، ومكثه فى الأرض » من « كتاب الفتن وأشراط الساعة » صحيح مسلم ٤/٢٢٦٠ .

وأخرجه السيوطى فى جمع الجوامع ٢٣٣/١ عن أبى شيبة ، والإمام أحمد ، ومسلم ، وأبى داود ، وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو .

وهو فى مسند أحمد ١٦٤/٢ ، ٢١٠ ، وسنن أبى داود ٢٤٩/٢ . باب امارات الساعة من كتاب الملاحم ، وسنن ابن ماجه ١٣٥٣/٢ باب طلوع الشمس من مغربها من كتاب الفتن .

مؤمن ، فحينئذ تقوم الساعة - كما ذكره الإمام القشيرى - وفى معناه : ما روى عن حفصة بنت سيرين أنها قالت :

سألت أبا العالية عن قول الله تعالى :

﴿ **وإذا وقع القول عليهم** .... ﴾ الآية . فقال : أوحى الله إلى نوح : ﴿ **أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ [هود : ٣٦] . قالت حفصة : وكأنما كان على وجهى غطاء فكشف !

قال النحاس : وهذا من حسن الجواب ؛ لأن الناس مُمْتَحَنُون ، ومؤخَّرُون ، لأن فيهم مؤمنين وصالحين ، ومن قد علم الله أنه سيؤمن ويتوب ؛ فلذا أُمْهِلُوا[١] .

ثم قال : فإذا زال هذا ، وجب القول عليهم ، فصاروا كقوم نوح حين قال الله تعالى : ﴿ **وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ [سورة هود : ٣٦] .

وجاء فى التفسير الوسيط :

والدليل على أن ذلك يكون قرب قيام الساعة : أن الآية قد ختمت بقوله تعالى : ﴿ **أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ . وتلاها : ﴿ **ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزَعُون** ﴾ .

كما يدل عليه : ما أخرجه مسلم فى صحيحه أن رسولَ الله ﷺ قال : « **ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض** »[٢] .

قال ابن كثير : هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس ، وتركهم أوامر الله ، وتبديلهم الدين الحق ، فتكلم الناس وتخاطبهم مخاطبة .

وقال ابن عباس وعطاء : تكلمهم كلاماً فتقول لهم :

---

(١) ومعلوم أن الله - سبحانه - يمهل ولا يهمل .
(٢) ذكره القرطبى فى تفسيره .

﴿ أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ (١)

ورُوِىَ أن خروجها : حين ينقطع الخير ، ولا يؤمر بمعروف ، ولا ينهى عن منكر ، ولا يبقى منيب ولا تائب .

ونعود بعد هذا العرض فنقول :

ما المراد بالدابة ، وما المقصود بتكليمها الناس ؟

إن **الدابة** : اسم للحيوان الذى يدب ويتحرك ، أما **الكلام** : فهو ما يحصل به الفهم والإفهام .

فماذا عسى أن تكون هذه الدابة التى تكلم الناس بما يفهمونه منها ، ويكون ظهورها من علامات الساعة الكبرى ؟

لابد أن تكون دابة عظيمة فى تكوينها ، وفيما يَصْدُر عنها ؛ لتكون آية مقارنة لطلوع الشمس من مغربها كما جاء فى صحيح مسلم(٢) بسنده عن عبدالله بن عمر أنه قال :

« **حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله يقول : إن أول الآيات خروجا : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا** » .

ويقول السُّدِّى فى كلام الدابة :

إنها تكلمهم ببطلان الأديان سوى الإسلام .

وقيل تكلمهم بما يسوءهم !

وقال عطاء الخراسانى : تكلمهم فتقول : ﴿ **أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ .

---

(١) مختصر ابن كثير .

(٢) كتاب الفتن .

قال القرطبى – شارحا لهذا القول – :

تكلمهم بلسان ذلق ، فتقول بصوت يسمعه من قرُب ، ومن بَعُد : ﴿ أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ .

أى : لا يوقنون بخروجى ، لأن خروجها من الآيات . وهناك قراءة تقول : « تَكْلمهم » (بسكون الكاف وفتح التاء قبلها وكسر اللام المخففة بعدها) . والكَلْم : الجرح .

وقد يرى بعضهم منافاةً بين القراءتين ، فالأولى تُكَلِّم ، والثانية تَكْلِمْ (تجرح) ؟!

ونقول : لا منافاة بين هذه القراءة وتلك ؛ فإنها تُكَلِّمهم بما يجرحهم لا نغماس معظمهم فى الضلال فى آخر الزمان .

ويقول الشاعر :

جراحات السِّنان لها التئـــام ولا يلتام ما جرح اللســـان

ويكون المعنى : وإذاقرب ما قلناه على الكافرين من قيام الساعة ، وعقابهم على كفرهم ، أخرجنا لهم دابة عظيمة هائلة تكلمهم بما يفهمونه عنها ، فتوبخهم على كفرهم ، وتنعى عليهم أنهم قبل خروجها كانوا بآيات الله وبراهينه لا يصدقون ، ولا يستيقنون ، وأنه قد حان ميقات فنائهم ، وقيامهم لرب العالمين لحسابهم ، وعقابهم على ما كانوا يعملون .

وصف الدابة :

جاء فى وصفها آثار متباينة ؛ فلهذا أمسكنا عن ذكرها وحسب القارىء – المسلم – أن يعلم أنها من علامات الساعة ، فلابد أنها شىء هائل يفوق الوصف ، وأنها تخرج لإقامة الحجة على الكافرين ، وتثبيت المؤمنين ، وإغلاق باب التوبة فى وجه الملحدين !

ولنا كلمة :

لقد قيل فى شأنها الكثير مما لا يصدقه عقل ، ولم يؤيده بيان قاطع عن رسولنا ﷺ !

وأسرف الوصافون والقصاصون فى بيان حقيقتها وفى ذكر صفتها ، وأطلقوا لخيالهم العَنان ، شأنهم فى كل أمر غيبى أخبر به القرآن الكريم .

ويقول الإمام الرازى :

« واعلم أنه لا دلالة فى الكتاب على شىء من هذه الأمور ، فإن صح الخبر عن رسول الله ﷺ قُبل ، وإلا لم يلتفت إليه » .

وهو يعنى أنه لا يصح من أخبارها شىء غير القرآن الكريم !!

وإننا لنقف وقفة مع النفس نسائلها :

أما آن لتلك الغرائب والعجائب التى ليس لها سند صحيح أن تتوارى بعيدا بعيدا عن كتبنا وتفسيرات قرآننا ؟! ، وكما يقولون : إننا لا نستطيع أن نمنع طيور الأسى من أن تحلق فوق رءوسنا ولكننا نستطيع أن نمنعها من أن تبنى عشًّا فيه !!

إن واجبنا – نحن المسلمين – أن نقيم بينها وبين القارئين سدا منيعا يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذى استأثر الله بعلمه ، ولم ير فائدة لعباده فى أن يطلعهم على شىء منه .

إن الجرى وراء تلك الغرائب يشغل الناس عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد ، والأخلاق ، وصالح الأعمال !

ويقول الإمام محمود شلتوت :

والذى أحب أن أقرره فيما أخبر الله به من شئون الغيب التى لم يتصل بها بيان قاطع عن الرسول ﷺ من الدابة ونحوها هو : « إننا نؤمن بأنه حينما يقع أمر الله ، وتحق كلمته ، ويأتى اليوم الذى لا ينفع فيه نفسا إيمانها لم تكن

آمنت من قبل – ستظهر للناس دابة ؛ ولكن : هل تتولد من الأرض ؟! أو هى من دوابها ؟

– ذاك يعلمه الله .

وهل هى صغيرة أو كبيرة ؟

– ذاك يعلمه الله .

ولكن هل تكلمهم بلسان عربى ذلق ، أو بغيره ؟

– كذلك هذا يعلمه الله .

نؤمن بها ، وبكلامها دون استبعاد أو إنكار » . ا هـ

وأقول لكل مسلم :

كيف يكون هناك استبعاد أو إنكار ، وهناكَ شواهد فى الماضى ومؤشرات تعطى الدليل على صدق ما قد يقع فى المستقبل من المغيبات !

لقد تحركت عصا موسى ، واهتزت كأنها جان ، وراحت تلقف ما يأفكون !

ولأمرٍ مَّا تضمنت « سورة النمل » : قصة الهدهد ، والنملة والدابة .. والهدهد والنملة .. كَلَّما سليمان .. والدابة تكلم الناس وسليمان من الناس ..

إن الهدهد من فصيلة الطيور التى لا قِبَل لها بالنطق ، فضلا عن التحدث فى أخطر قضية وهى « قضية الإيمان والكفر » .

ومع هذا يحدثنا القرآن أنه : عبر عن الإيمان والكفر ، وفهم منه نبى الله سليمان كل ما أراد ، وانتفع برحلته التى قام بها من تلقاء نفسه إلى ملكة سبأ :

﴿ إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ، ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ؛ فهم لا يهتدون ﴾ [سورة النمل : ٢٣ – ٢٤]

وهذه النملة يسمعها سليمان تحدث جماعة النمل فتقول : **﴿ يأيها النمل ،**

ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها ﴾ [١٨ - ١٩]

والذى جعل سليمان يدرك فحوى كلامها قادر على أن يجعل من يشاهدون تلك الدابة يسمعون كلامها ويدركون مغزاه .

لقد جاء على لسان الهدهد : ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون** ﴾ [النمل : ٢٤] .

وسوف تكلم الدابة الناس فى نهاية الزمان ، وتخبرهم ﴿ **أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ .

إن الذى أنطق الهدهد فى ماضى الزمان وجعله يخاطب سليمان قادر على أن يجعل من يشاهدون آية الدابة فى آخر الزمان قادرين على فهم ما تحدثهم به .

إن واجب المؤمن أن يقف فى الإيمان بهذه المغيبات عند الحد الذى جاء به الخبر الصادق .

ولا ينبغى أن نسمح لأنفسنا بالزيادة عليها ، وضم شىء إليها ، فضلا عن استبعادها أو إنكارها !

وهذا شأن المؤمنين بالله ، وبكتابه ، وغيبه :

﴿ **ولا تقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

٤ – النَّارُ التى تحشر الناس

أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضىء أعناق الإبل ببصرى** » .

وأخرى الترمذى عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : ستخرج نار من حضرموت – أومن بحر حضرموت – قبل القيامة تحشر الناس ، قالوا : يارسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال عليكم بالشام » .

قال الترمذى : وهو حديث حسن صحيح .

وأخرج البخارى عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **أول أشراط الساعة : نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب** » وعن حُذَيفَةَ بن أُسيِدِ الغِفَارىّ – رضى الله عنه – قال : طلع النبى ﷺ ونحن نتذاكر ، فقال : ما تَذَاكرون ؟ » .

قالوا : نذكر الساعة .

قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات :

الدّخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف :

- خسف بالمشرق .
- وخسف بالمغرب .
- وخسف بجزيرة العرب .

وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم » (م ١٧٩/٨)

مهمة النار إذن : أنها تسوق الناس إلى محشرهم .. والناس يفرون من النار وبخاصة إذا كانت تطاردهم ..

والذين يحتاجون إلى سَوْق النار هم الكفار أما المؤمنون فلاشك أن النار سوف تكون عليهم برداً وسلاما كما كانت على إبراهيم ، إنهم سوف يفرون إلى الله ، أما غيرهم ، فمهما حاولوا الفرار منه فلن يفلتوا ، وكيف والنار تحاصرهم !!

ولا عجب فى خروج تلك النار وبخاصة فى منطقتنا – منطقة الشرق الأوسط – التى كانت مهدا للنبوات ، وعايشت الطائعين والعاصين ، هذه المنطقة التى تضم تحتها بحيرات من البترول ، وكم شاهدنا نيرانا تشتعل فى البر والبحر وتبذل الجهود المضنية لمحاولة إطفائها !

أما عندما تظهر هذه النار ويتطاير منها الشرر فلن تفلح معها جهود البشر !

ويدل على ذلك ما أخرجه الحاكم فى « مستدركه » فى كتاب الملاحم والفتن :

عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « **تبعث نار على أهل المشرق ، فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، تكون لها ما سقط منها وتخلف ، تسوقهم سوق الجمل الكسير** » .

فهذه النار لا تدع أحدا خلفها إلا تسوقه إلى المحشر ! وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

إن النار ترافقهم وتصاحبهم فى وقت البيتونة ، وفى وقت القيلولة وتتحرك معهم حين يتحركون ، وتقوم مقام الراعى والحارس الذى يسوق إبله أو غنمه إلى مأواهما فى رفق .

وقد يتوقف القارىء عندما جاء فى حديث أنس :

من أنها « **أول أشراط الساعة** » . وما جاء فى حديث حذيفة من أنها « **آخر ذلك** » . إذ كيف تكون النار أول الأشراط ؟ وكيف تكون آخرها ؟

وقد نقل الحافظ السخاوى ما أجاب به العلماء للتوفيق بين الروايتين بقولهم :

إن آخرية خروج النار باعتبار ما ذكرمعها من الآيات . **فهى** آخرها .

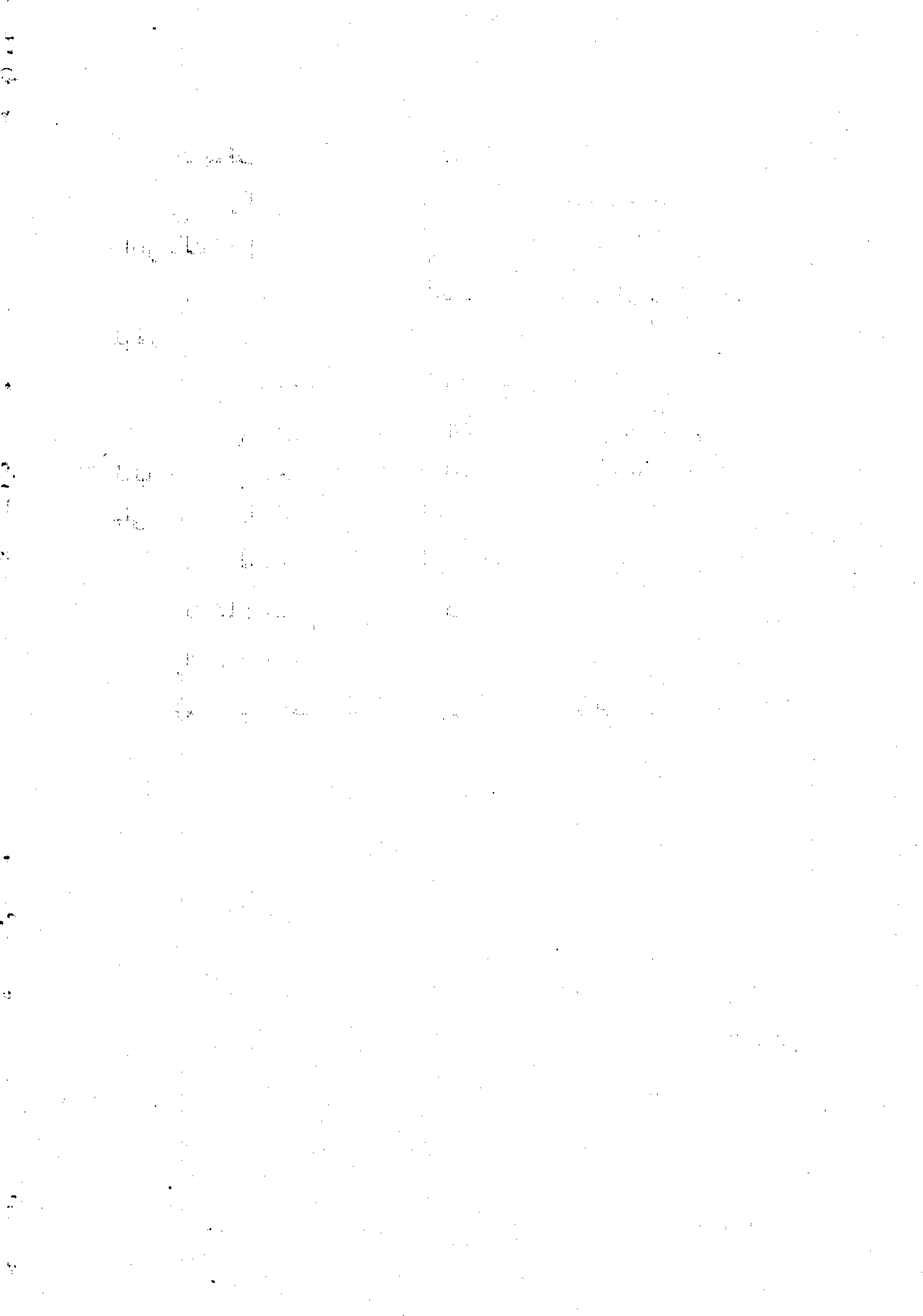
أما **أوليتها** ، **فذلك** لأنها من أول الآيات التى لا شىء بعدها **من أمور الدنيا** أصلا ، بل يقع بانتهائها النفخ فى الصور . بخلاف ما ذكر معها ؛ **فإنه** يبقى بعد كل آية منها.من أمور الدنيا .

وذكر غيره من العلماء بأن النار ناران :

إحداهما : تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .

والثانية : تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى الحشر .

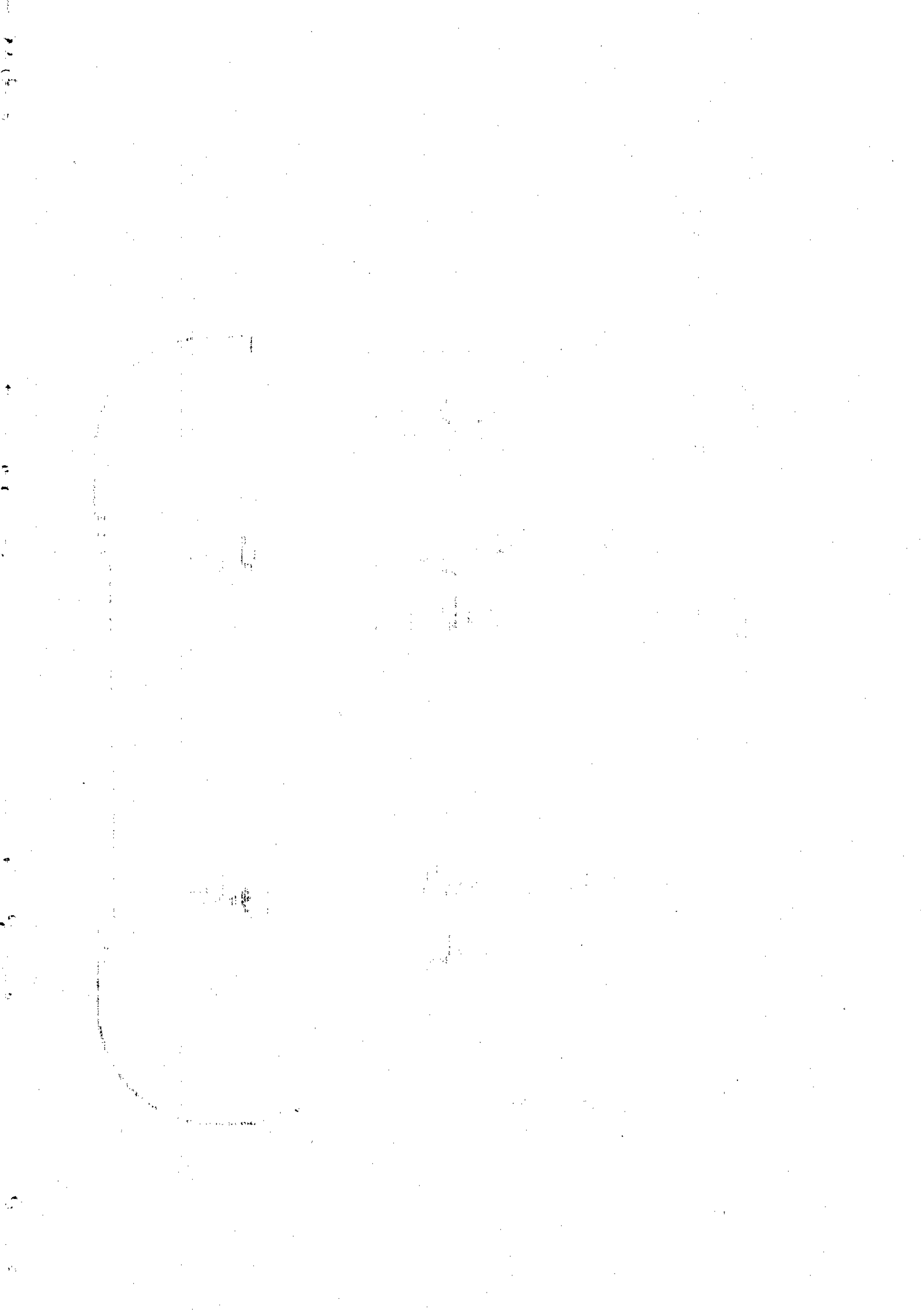
فلعل الأولى إحدى النارين فى أول الآيات ، والأخرى فى آخرها .



الفصل الرابع

جولة بين المؤيدين والمعارضين لعقيدة المهدية

جذور المهدية التاريخية والدينية والسياسية



المهدية

عقيدة سايرت العصور ، وامتدت
لها فى أعماق التاريخ جذور !
فما هذه العقيدة ؟
وكيف نشأت ؟ وكيف تنقلت وتطورت ؟
وإلى أى مدى بلغ سلطانها الدينى
والسياسى والعلمى فى نفوس معتنقيها ؟
وما وجه الحق فيها ؟
وماذا كان لها من نتائج ؟
ولم سمى هذا أو ذاك بالمهدى ؟
وماذا قيل فيما يتقدم أمَامَه من
الفتن والحوادث والدلالات ؟

كلمة لها تاريخ

يذكر الدكتور « **أحمد أمين** » فى كتابه « **ضحى الإسلام** » إن الاستعمال الاصطلاحى لكلمة « المهدى » ظهر أول ما ظهر على يد كيسان مولى « على بن أبى طالب » فى قوله بمهدية « **محمد بن الحنفية** » . ثم بعد ذلك على يد المختار[1] .

ولكنه يذكر بعد ذلك : أن فكرة المهدية نبتت فى عصر الإمام جعفر الصادق (٨٣ – ١٤٨)[2] .

ويرجع الدكتور كامل مصطفى الشيبى بأولية الفكرة إلى التيار الشيعى الذى حركه المختار مبينا أنها صارت بعد ذلك من طابع الشيعة عموما إذ صار كل إمام شيعى « مَهْدِيًّا » لدى فرقته فى حياته ، أو فى مماته ، ثم حدث التطور الذى وصل ظهور المهدى بنزول المسيح فى أواخر القرن الثالث عندما أعلنت غيبة المهدى الاثنى عشر[3] .

هل هى عقيدة خاصة ؟

ويؤكد الشيخ محمد رضا المظفر : **أن عقيدة المهدى ليست خاصة بالشيعة أو الإماميّة ، بل هى ثابتة : « عن النبى ﷺ على وجه عرفها به جميع المسلمين »** .

و « **لأجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة** » .

---

(١) الجزء الثالث (ص ٢٣٦) .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٦ .

(٣) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبى ص ٢٣ .

كما نجده يحصر الفَرْق بين الإمامية الاثنى عشرية وغيرهم – فى هذا الشأن – فى أن الإمامية الاثنى عشرية ينتظرون **واحدا بعينه هو « محمد بن العسكرى »** المولود عام ٢٥٦ هجرية ، **والذى اختفى ليرجع**[١] .

ويذهب صاحب « المهدية فى الإسلام »[٢] إلى أن ابن سبأ كان أول القائلين بعقيدة المهدى ، وأنه ذهب إلى أنها ستتحقق برجعة على كمهدى فى آخر الزمان .

موقف غير الشيعة :

لم يقتصر الأمر على الشيعة فقد كان للأمويين « مهدى » ينادون به ، يسمونه « **السفيانى** » يستندون فيه إلى روايات يقرر صاحب الأغانى أنها رويت عن غير واحد وتتابعت برواية الخاصة والعامة .

ويرجح الدكتور أحمد أمين أنها موضوعة بفعل خالد بن يزيد بن معاوية كما ذهب إلى ذلك مصعب[٣] .

وكان للعباسيين دعواهم فى هذا الباب .

مواقف الشيعة من هذا الأمر :

ظهرت دعوة المختار لمهدية « **محمد بن الحنفية** » مع رضاء محمد بن الحنفية بهذا اللقب .

وإذا كانت الزيدية تنكر عقيدة « **المهدى** » فإن الجارودية يقولون بمهدية النفس الزكية « **أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب** » الذى ولد عام ١٠٠ هجرية ، وقتله المنصور عام ١٤٥ هجرية ، ولم تعترف الجارودية بموته .

---

(١) الشيخ محمد رضا المظفر فى كتابه « عقائد الإمامية » ص ٧٧ وما بعدها .

(٢) الأستاذ سعد محمد حسن « المهدية فى الإسلام ص ٩٣ » .

(٣) انظر ضحى الإسلام (جـ ٣ ص ٢٣٨) هذا بينما يسوق المقدسى أخبار السفيانى على أنه شبيه بالدجال . انظر البدء والتاريخ (جـ ٢ ص ١٧٦ – ١٧٧) .

ويذكر أن النفس الزكية كان يعتقد أنه « **المهدى** » حقا ، وأن العباسيين استغلوا اسمه والدعوة إليه فى إقامة دولتهم ، ثم تنكروا له بعد وكذبه المنصور فى دعوته ، وزعم أن « المهدى » حقا هو ابنه « **المهدى** »[1] .

أما الإمامية فقد كانوا فرقا ، ولكل فرقة « **مهدى** » خاص .

ومن المعروف أن الأمر صار لدى الاثنى عشرية أخيرا إلى مهدية « **محمد بن الحسن العسكرى** » الإمام الغائب ، ويعتقدون أنه سيظهر بظهوره تراث ضخم انحدر إلى الأئمة من الإمام على[2] .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى – للدكتور النشار جـ ٢ ص ١١٠ – ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٢ نقلا عن الكافى للكلينى .

المهديون الثلاثة الذين ظهروا فى الشرق بين اعتقاد المؤرخين ورأى العقاد

يعلق الأستاذ العقاد فى كتابه « الإسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله » فيقول :

من أقوى الدلائل على عمق الأثر الذى تركته ضربات الاستعمار فى أرجاء العالم الإسلامى هذه الظاهرة المتفقة التى تواترت فى تلك الأرجاء ، ولما ينقض على هجوم الاستعمار جيل واحد .

وخلاصة هذه الظاهرة أن رد الفعل بعدها قد برز بكل نوع من أنواعه فى تلك الأرجاء ، فلم يكن فى العالم الإسلامى كله بلد خلا كل الخلو من إحداها .

فكما توزع العالم الإسلامى : دعوات « المعلمين المصلحين . كذلك توزع دعوات الساسة وأصحاب الطرق الصوفية ، ودعوات التجديد أو العودة إلى القديم الصحيح وتخليصه من شوائب البدع والخرافات .

ثم توزعته أيضا كذلك دعوات أخرى من نوع آخر وهى : دعوات المهديين الذين زعموا أنهم مبعوثون على موعد ، وأنهم رسل الخلاص والنجاة .

فظهر منهم من ظهر فى الهند ، وظهر منهم من ظهر فى الرقعة الوسطى من أرض فارس ، وظهر غيرهم فى وادى النيل .

ومن قبل رأينا أن هذه الأقطار هى التى أخرجت العالم الإسلامى : السيد أحمد خان ، والسيد جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده المصرى .

وأخرجت كذلك رواد السياسة والوزراء .

ظاهرة تدل على قوة الأثر ، وتدل كذلك على حياة البنية التى تستجيب لكل فعل برده الذى يناسبه فى حينه .

وليست البلية هنا إلا العقيدة التى هى مرجع تلك القوة وتلك المقاومة .

والمهديون نوع آخر من الدعاة ، ولكنه نوع له محله ، وأوانه كيفما كان .

وأشهرهم فى عصر الاستعمار ثلاثة هم :

١ – ميرزا محمد على الملقب بالباب . وقد ظهر فى إيران .
٢ – وميرزا غلام أحمدالقاديانى . وقد ظهر فى الهند .
٣ – ومحمد أحمد عبد الله . وقد ظهر فى السودان .

والغالب على اعتقاد المؤرخين أن المهديين قوم خادعون ، يتعمدون الكذب فى دعوتهم ، ويُسرّون غير ما يعلنون من طلب الإصلاح ، والعناية بشئون الدين .

ولكن الكذب المحض فى أمثال هذه الدعوات أمر غير معقول ..

والأقرب عندنا إلى المعقول فى أمرهم ، أنهم عاشوا فى فترة انتظار متفق عليه ، وأنهم نشئوا نشأة « صوفية » فى أكثر الأجيال ، فاشرأبت نفوسهم أن يكون الرجاء المنتظر على أيديهم !

وربما ساورهم الظن أنهم منتدبون لتحقيق الرجاء ، فأشفقوا أن يتكلوا عن هذه الندبة ، وأقدموا خوف المخالفة ، وأملا فى صدق الوعد ، مع العمل والجهاد ، ثم طوتهم الشبكة المعقدة من هواجس ضمائرهم ، ومما أحاط بهم من عقائد أتباعهم ، ومن ضرورات المواقف المتلاحقة التى لا يسهل الخلاص منها ، فأسلموا أنفسهم للحوادث واعتذروا لها بحسن المقصد ، وسلامة النية .

أو كان منهم من يلج فى المكابرة ، والمغالطة ؛ لأنه لا يأمن التراجع ، ولا يقدر عليه .

ومنهم من يخالطه الوسواس ؛ فيفعلى أفعال المجانين .

ونحسب أن « **الباب** » أشد هؤلاء ثقةً بنفسه فى البداية ، وأقلهم ثقة بها فى النهاية ؛ ولهذا كان أبعدهم عن العقيدة السوية فى الإسلام .

ثم قال :

أولئك المهديون الثلاثة أنماط متقاربة للدعوة المهدية فى عصر الاستعمار .

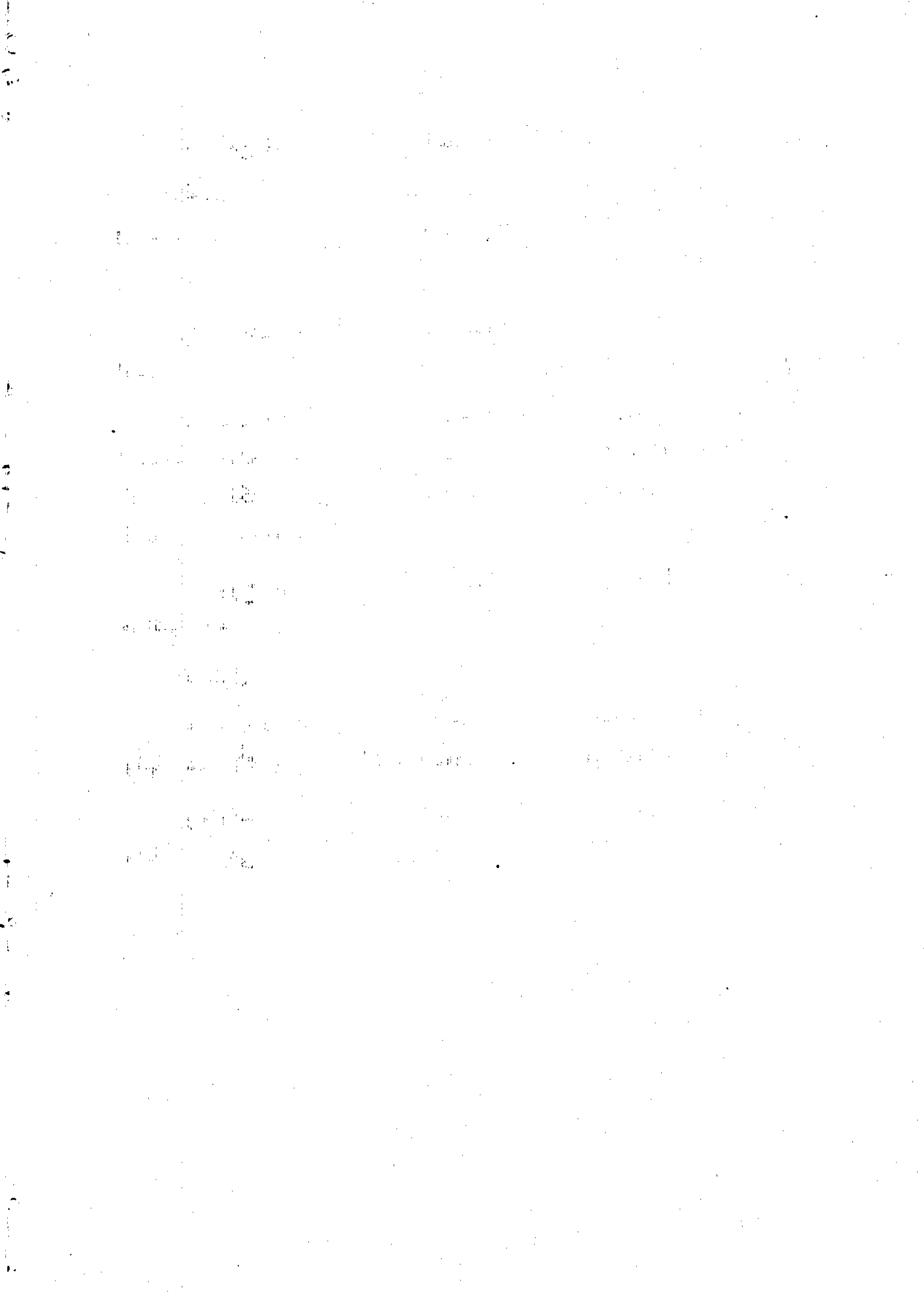
يتشابهون أو يختلفون على حسب ما أحاط بهم فى بلادهم من دواعى الاستعمار وموانعه ، وعلى حسب المذهب الذى توارثوه من أسلافهم والتربية التى هيأت أفكارهم وعقائدهم ، فهم أبناء ماضيهم وحاضرهم فى مواضع الشَّبه ، بينهم ، ومواضع الخلاف .

ولا يلوح لهم فى الوقت الحاضر مستقبل يرتبط بمستقبل الإسلام غير ما انتهوا إليه .

ثم يقول :

على أن العبرة من هذه الحركات جميعا **أن ضجتها أعظم من جدواها ، وأنها تجشم الأمم كثيرا ، ولا تنفعها ببعض ما تتجشم من أهوالها ومتاعبها .**

ولو وضعت هذه الدعوات جميعا فى الميزان لرجحت عليها دعوة التعليم والتقويم ، وهى أقلها ضجة ، وأطولها أمدا ، وأبقاها أثرا .



دراسة نقدية قدمها ابن خلدون فى مقدمته :

جملة الأحاديث التى خرَّجها الأئمة

فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان

أضواء كاشفة

خص ابن خلدون « المهدى المنتظر » بأحد فصول مقدمته !
ولقد حمل فيه على قضية المهدى وعلق على
بعض أحاديثها .
ولكنه فى النهاية سجل اعترافه بأن
من أحاديث المهدى ما تقوم به
الحجة وإن كانت فى رأيه
قليلة أو أقل من القليل .

فصل فى أمر الفاطمى وما يذهب إليه الناس فى شأنه ، وكشف الغطاء عن ذلك

تقديم : اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه :

لابد فى آخر الزمان من رجلٍ من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ، ويستولى على الممالك الإسلامية ويسمى بـ « **المهدى** » .

ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على أثره .

وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال ، أو ينزل معه ، فيساعده على قتله ، ويأتم بالمهدى فى صلاته .

حجة القائلين بذلك :

ويحتجون فى الباب بأحاديث خرّجها الأئمة ، وتكلم فيها المنكرون لذلك ، وربما عارضوها ببعض الأخبار .

وللمتصوفة المتأخرين فى أمر هذا الفاطمى طريقة أخرى ، ونوع من الاستدلال ، وربما يعتمدون فى ذلك على الكشف الذى هو أصل طرائقهم .

موقف ابن خلدون من المؤيدين والمنكرين :

ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة فى هذا الشأن ، وما للمنكرين فيها من المطاعن ، ومالهم فى إنكارهم من المستند ، ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم ، ليتبين لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى ، فنقول :

الأئمة الذين خرّجوا أحاديث المهدى :

إن جماعة من الأئمة خرجوا أحاديث المهدى منهم : الترمذى : وأبو داود ، والبزار ، وابن ماجه ، والحاكم ، والطبرانى ، وأبو يعلى الموصلى ، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل :

على ، وابن عباس ، وابن عمر ، وطلحة ، وابن مسعود ، وأبى هريرة ، وأنس ، وأبى سعيد الخُدرى ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وثوبان ، وقرة بن إياس ، وعلى الهلالى ، وعبد الله بن الحرْث بن جزء بأسانيد ربما يعرض لها المنكرن كما نذكره !

إلا أن المعروف عند أهل الحديث « **أن الجَرْح[1] مقدم على التعديل** ». فإذا وجدنا طعنا فى بعض رجال الأسانيد بغفلة ، أو بسوء حفظ ، أو ضعف ، أو سوء رأى تطرق ذلك إلى صحة الحديث ، وأوهن منها !

دفع شبهة :

ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق إلى رجال الصحيحين ؛ فإن الإجماع قد اتصل فى الأمة على تلقيهما بالقبول ، والعمل بما فيهما ، وفى الإجماع أعظم حماية ، وأحسن دفع ، وليس غير الصحيحين بمثابتهما فى ذلك ؛ فقد نجد مجالا للكلام فى أسانيدها بما نقل عن أئمة الحديث فى ذلك .

أبو بكر ابن خيثمة وأحاديث المهدى :

ولقد توغل أبو بكر بن خيثمة – على ما نقل السهيلى عنه – فى جمعه للأحاديث الوازدة فى المهدى فقال :

(١) حديث جابر :

ومن أغربها إسنادا ما ذكره أبو بكر الاسكاف فى « فوائد الأخبار »

---

(١) الجرح : الطعن فى بعض رجال الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ ، أو ضعف ، أو سوء رأى ، وعكسه التعديل أى أن الراوى عدل .

مسندإلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **من كذّبَ بالمهدىّ فقد كفر ، ومن كذب بالدجال فقد كفر** » . وقال فى طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب .

وحسبك هذا غلوا . والله أعلم بصحة طريقه إلى مالك بن أنس ! على أن أبا بكر الاسكاف عندهم : متّهم وضّاع .

ما خرجه الترمذى :

(٢) وأما الترمذى فخرج هو وأبو داود بسنديهما إلى ابن عباس من طريق عاصم بن أبى النجود – أحد القراء السبعة – إلى زرّ بن حبيس عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ :

« **لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى – أو من أهل بيتى – يواطِىء اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى** » .

هذا لفظ أبى داود . وسكت عليه .

وقال فى رسالته المشهورة : إن ما سكت عليه فى كتابه ، فهو صالح .

ولفظ الترمذى : « **لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى ، يواطىء اسمه اسمى** » .

وفى لفظ آخر : « **حتى يلى رجل من أهل بيتى** » . وكلاهما حديث حسن صحيح .

ورواه أيضا من طريق موقوفا على أبى هريرة .

وقال الحاكم : رواه الثورى ، وشعبة ، وزائدة ، وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم .

الرأى فى عاصم :

قال : وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما أصلته من الاحتجاج بأخبار « **عاصم** » ؛ إذ هو إمام من أئمة المسلمين . انتهى

إلا أن « **عاصما** » قال فيه أحمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئا للقرآن خيِّراً ثقةً ، والأعمش أحفظ منه .

وكان شعبة يختار الأعمش عليه فى تثبيت الحديث .

وقال العجلى : كان يختلف عليه فى زر وأبى وائل يشير بذلك إلى ضعف روايته عنهما .

وقال محمد بن سعد كان ثقة إلا أنه كثير الخطأ فى حديثه . وقال يعقوب بن سفيان : فى حديثه اضطراب .

وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم : قلت لأبى : إن أبا زرعة يقول : « **عاصم** » ثقة ، فقال : ليس محله هذا !!

وقد تكلم فيه ابن علية فقال : كل من اسمه « **عاصم** » سيىء الحفظ . وقال أبو حاتم : محله عندى محل الصدق ، صالح الحديث ، ولم يكن بذلك الحافظ .

واختلف فيه قول النسائى .

وقال ابن خراش : فى حديثه نكرة .

وقال أبو جعفر العقيلى : لم يكن فيه إلا سوء الحفظ .

وقال الدارقطنى : فى حفظه شىء .

وقال يحيى القطان : ما وجدت رجلا اسمه « **عاصم** » إلا وجدته ردىء الحفظ .

وقال أيضا : سمعت شعبة يقول : حدثنا عاصم بن أبى النجود وفى الناس ما فيها .

وقال الذهبى : ثَبْتٌ فى القراءة ، وهو فى الحديث دون الثبت ، صدوق فهم ، وهو حسن الحديث .

دفع شبهة :

وإن احتج أحد بأن الشيخين أخرجا له فنقول : أخرجا له مقرونا بغيره ، لا أصلا ، والله أعلم .

ما خرجه أبو داود :

(٣) وخرج أبو داود فى الباب عن على رضى الله عنه من رواية « **قطن بن خليفة** » عن القاسم بن أبى مرة عن أبى الطفيل عن على النبى ﷺ قال : **« لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا »** .

ما وجه إلى قطن من طعن :

وقطن بن خليفة – وإن وثّقه أحمد ويحيى بن القطان ، وابن معين والنسائى وغيرهم – إلا أن العجلى قال :

حسن الحديث ، وفيه تشيع قليل .

وقال ابن معين : مُرّة شيعى .

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس : كنا نمر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه .

وقال مرة : كنت أمر به وأدعه مثل الكلب .

وقال الدارقطنى : لا يحتج به .

وقال أبو بكر بن عياش : ما تركت الرواية عنه إلا لسوء مذهبه .

وقال الجرجانى : زائغ غير ثقة . انتهى

(٤) **وخرج أبو داود** أيضا بسنده إلى على – رضى الله عنه – عن مروان بن المغيرة ، عن عمر بن قيس ، عن شعيب بن أبى خالد ، عن أبى إسحٰق النسفى قال :

قال علي – ونظر إلى ابنه الحسن – : إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلق ، ولا يشبهه في الخَلق يملأ الأرض عدلا » .

(٥) وقال هارون : حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف عن أبي الحسن ، عن هلال بن عمر : سمعت عليا يقول :

قال النبي ﷺ : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له : الحرث ، على مقدمته رجل يقال له : منصور ، يوطِّيء أو يمكّن لآل محمد ، كما مكنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصره – أو قال – إجابته » .

سكت أبو داود عليه . وقال في موضع آخر : في هرون هو من ولد الشيعة .

وقال السليماني : فيه نظر .

وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس : لا بأس به ، في حديثه خطأ .

وقال الذهبي : صدوق له أو هام .

وأما أبو إسحق الشيعي – وإن خرج عنه في الصحيحين – فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره ، وروايته عن علي منقطعة ، وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة .

وأما السند الثاني : فأبو الحسن فيه ، وهلال بن عمر ، مجهولان ، ولم يُعرف أبو الحسن إلا من رواية مطرف بن طريف عنه . انتهى

(٦) وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« المهدى من ولد فاطمة » ،

ولفظ الحاكم : سمعت رسول الله ﷺ يذكر المهدى فقال :

« هو حق ، وهو من بني فاطمة » . ولم يتكلم عليه بتصحيح

ولا غيره . وقد ضعفه أبو جعفر العقيلي وقال : لا يتابع على بن نفيل عليه ، ولا يعرف إلا به .

(٧) وخرج أبو داود - أيضا - عن أم سلمة من رواية صالح أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة قال :

« يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجُونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ، فيبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ؛ فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام ، وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثا ، فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ، ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقى الإسلام بجرانِه على الأرض ، فيلبث سبع سنين » وقال بعضهم « تسع سنين » .

ثم رواه أبو داود من رواية أبي الخليل عن عبد الله بن الحـٰرث عن أم سلمة ، فتبين بذلك المبهم في الإسناد الأول ، ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ، ولا مغمز .

وقد يقال : إنه من رواية قتادة عن أبي الخليل ، وقتادة مدلس ، وقد عنعنه ، والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرح فيه بالسماع .

مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدى - نعم ذكره أبو داود في أبوابه .

(٨) وخرج أبو داود - أيضا - وتابعه الحاكم عن أبي سعيد الخدرى عن طريق عمران القطان عن قتادة عن أبي بصرة ، عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ :

« المهديّ مني أجْلَى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين » .

هذا لفظ أبي داود وسكت عليه .

ولفظ الحاكم : « **المهدى منا أهل البيت ، أشم الأنف ، أقنى أجلى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا ، وبسط يساره ، وأصبعين من يمينه : السبابة والإبهام ، وعقد ثلاثة** » .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وعمران القطان مختلف فى الاحتجاج به إنما أخرج له البخارى استشهادا لا أصلا ، وكان يحيى القطان لا يحدث عنه .

وقال يحيى بن معين : ليس بالقوى .

وقال مرة : ليس بشيء .

وقال أحمد بن حنبل : أرجو أن يكون صالح الحديث !

وقال يزيد بن زريع : كان حروريا ، وكان يرى السيف على أهل القبلة .

وقال النسائى : ضعيف .

وقال أبو عبيد الآجرى : سألت أبا داود عنه فقال : من أصحاب الحسن ، وما سمعت إلا خيرا .

وسمعته مرة أخرى ذكرهُ فقال : ضعيف .

أفتى فى أيام إبراهيم بن عبد الله بفتوى شديدة فيها سفك الدماء .

(٩) وخرج الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى من طريق **زيد العمى** ، عن أبى الصديق الناجى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : خشينا أن يكون بعض شيء حدث ، فسألنا نبى الله ﷺ فقال :

« **إن فى أمتى المهدى يخرج ، يعيش خمسا – أو سبعا أو تسعا** – (زيد الشاك) . **قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال** : سنين . **قال : فيجيء إليه الرجل فيقول : يامهدىّ أعطنى . قال فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله** » هذا لفظ الترمذى . وقال : حديث حسن .

وقد روى من غير وجه عن أبى سعيد عن النبى ﷺ .

ولفظ ابن ماجه والحاكم : « يكون فى أمتى المهدى – إن قصر فسبع وإلا فتسع – فتنعم أمتى فيه نعمة لم ينعموا بمثلها قط ، تؤتى الأرض أكلها ، ولا يدخر منه شيء ، المال يومئذ كدوس ، فيقوم الرجل فيقول : يا مهدى ، أعطنى فيقول : خذ » . انتهى

وزيد العمى – وإن قال فيه الدارقطنى ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين : إنه صالح ، وزاد أحمد : إنه فوق يزيد الرقاشى ، وفضل ابن عيسى – إلا أنه قال فيه أبو حاتم – ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به .

وقال يحيى بن معين فى رواية أخرى : لا شيء .

وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف .

وقال الجرجانى : متماسك .

وقال أبو زرعة : ليس بقوى ، واهى الحديث ضعيف .

وقال أبو حاتم : ليس بذاك ، وقد حدث عنه شعبة .

وقال النسائى : ضعيف .

وقال ابن عدى : عامة ما يرويه ، ومن يروى عنهم ضعفاء . على أن شعبة قد روى عنه ، ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه .

(١٠) وقد يقال : إن حديث الترمذى وقع تفسيرا لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا لا يعده عدا** » ، ومن حديث أبى سعيد قال :

(١١) « **من خلفائكم خليفة يحثى المال حثيا** » .

ومن طريق أخرى عنهما قال :

(١٢) « **يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده** » . انتهى

وأحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدى ، ولا دليل يقوم على أنه المراد منها .

ورواه الحاكم أيضا عن طريق عوف الأعرابى عن أبى الصديق الناجى ، عن أبى سعيد الخدرى قال :

(١٣) قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جورا ، وظلما ، وعدوانا ، ثم يخرج من أهل بيتى رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا** » وقال فيه الحاكم : هذا صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

(١٤) ورواه الحاكم أيضا من طريق سليمان بن عبيد عن أبى الصديق الناجى ، عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال :

« **يخرج فى آخر أمتي المهدى يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطى المال صحاحاً ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعا أو ثمانيا** » – **يعنى حججاً** –

وقال فيه : حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . مع أن سليمان بن عبيد لم يخرج له أحد من الستة . لكن ذكره ابن حبان فى الثقات . ولم يَرِدْ أن أحدا تكلم فيه .

(١٥) ثم رواه الحاكم أيضا من طريق أسد بن موسى عن حماد بن سلمة ، عن مطر الوراق ، وأبى هارون العبدى ، عن أبى الصديق الناجى ، عن أبى سعيد : أن رسول الله ﷺ قال :

« **تملأ الأرض جوراً وظلماً ، فيخرج رجل من عترتى ، فيملك سبعا أو تسعا ، فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما** » .

وقال الحاكم فيه : حديث صحيح على شرط مسلم . وإنما جعله على شرط مسلم ؛ لأنه أخرج عن حماد بن سلمة ، وعن شيخه مطر الوراق ، وأما شيخه الآخر ، وهو « أبو هارون العبدى » فلم يخرج له ، وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ، ولا حاجة إلى بسط أقوال الأئمة فى تضعيفه .

وأما الراوى له عن حماد بن سلمة ، وهو أسد بن موسى ، ويلقب « **أسد السنة** » . وإن قال البخارى : مشهور الحديث ، واستشهد به فى صحيحه ، واحتج به أبو داود والنسائى إلا أنه قال مرة أخرى :

ثقة لو لم يصنف كان خيرا له .

وقال فيه محمد بن حزم . منكر الحديث .

(١٦) ورواه الطبرانى فى معجمه الأوسط من رواية أبى لواصل عبد الحميد بن واصل عن أبى الصديق الناجى عن الحسن بن يزيد السعدى أحد بنى بهدلة عن أبى سعيد الخدرى قال :

« **سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج رجل من أمتى يقول بسنتى ، ينزل الله عز وجل له القطر من السماء ، وتخرج الأرض بركتها ، وتملأ الأرض منه قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ، يعمل على هذه الأمة سبع سنين ، وينزل بيت المقدس** » .

وقال الطبرانى فيه : رواه جماعة عن أبى بكر الصديق ، ولم يدخل أحد منهم بينه وبين أبى سعيد أحدا إلا أبا الواصل فإنه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبى سعيد » انتهى

وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبى حاتم ولم يعرفه بأكثر مما فى هذا الإسناد من روايته عن أبى سعيد ، ورواية أبى الصديق عنه .

وقال الذهبى فى الميزان : إنه مجهول . لكن ذكره ابن حبان فى الثقات .

وأما أبو الواصل الذى رواه عن أبى الصديق ، فلم يخرج له أحد من الستة .

وذكره ابن حبان فى الثقات فى الطبقة الثانية ، وقال فيه : يروى عن أنس ، وروى عنه شعبة وعتاب بن بشر .

حديث الرايات :

(١٧) وخرج ابن ماجه فى كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : « **بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا أقبل فتية من بنى هاشم ، فلما رآهم رسول الله ﷺ ذرفت عيناه ، وتغير لونه قال : فقلت ما نزال نرى فى وجهك شيئا نكرهه فقال : « إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود ، فيسألون الخير فلا يعطونه ، فيقاتلون وينصرون ، فيعطون ما سألوا ، فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطا كما ملئوها جورا ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج** » انتهى

وهذا الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات .

ويزيد بن أبى زياد راويه قال فيه شعبة : كان رقّاعا ، يعنى يرفع الأحاديث التى لا تعرف مرفوعة .

وقال محمد بن الفضيل : كان من كبار أئمة الشيعة . وقال أحمد بن حنبل : لم يكن بالحافظ ، وقال مرة : حديثه ليس بذلك .

وقال يحيى بن معين : ضعيف .

وقال العجلى : جائز الحديث ، وكان بآخرة يلقن .

وقال أبو زرعة : لين يكتب حديثه ، ولا يحتج به .

وقال أبو حاتم : ليس بالقوى .

وقال الجرجانى : سمعتهم يضعفون حديثه .

وقال أبو داود : لا أعلم أحدا ترك حديثه ، وغيره أحب إلى منه .

وقال ابن عدى : هو من شيعة أهل الكوفة ، ومع ضعفه يكتب حديثه . وروى له مسلم ، لكن مقرونا بغيره .

وبالجملة فالأكثرون على ضعفه .

وقد صرح الأئمة بتضعيف هذا الحديث الذى رواه عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات .

وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشىء .

وكذلك قال أحمد بن حنبل ، وقال أبو قدامة : سمعت أبا أسامة يقول : فى حديث يزيد عن إبراهيم فى الرايات ، لو حلف عندى خمسين يمينا قسامة ما صدقته .

أهذا مذهب إبراهيم ؟ أهذا مذهب علقمة ؟ أهذا مذهب عبد الله ؟

وأورد العقيلى هذا الحديث فى الضعفاء .

وقال الذهبى : ليس بصحيح .

(١٨) وخرّج ابن ماجه عن على رضى الله عنه من رواية ياسين العجلى عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « **المهدى منا أهل البيت يصلح الله به فى ليلة** » .

وياسين العجلى – وإن قال فيه ابن معين ليس به بأس – فقد قال البخارى : فيه نظر . وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية فى التضعيف جدا .

وأورد له ابن عدى فى الكامل ، والذهبى فى الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له ، وقال : هو معروف به .

(١٩) وخرج الطبرانى فى معجمه الأوسط عن على رضى الله عنه أنه قال للنبى ﷺ : « **أمِنَّا المهدىّ ، أم من غيرنا يارسول الله ؟ فقال : « بل منا ، به يختم الله ، كما بنا فتح ، وبنا يستنقذون من الشرك ، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة ، كما بنا ألّف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك ، قال على : أمؤمنون أم كافرون ؟ قال : مفتون وكافر » . انتهى** .

وفيه عبد الله بن لهيعة ، وهو ضعيف معروف الحال .

وفيه عمر بن جابر الحضرمى ، وهو أضعف منه .

قال أحمد بن حنبل : روى عن جابر مناكير ، وبلغنى أنه يكذب .

وقال النسائى ليس بثقة . وقال : كان ابن لهيعة شيخا أحمق ضعيف العقل ، وكان يقول : على فى السحاب ، وكان يجلس معنا ، فيبصر سحابة فيقول : هذا على قد مر فى السحاب .

ما خرجه الطبرانى :

(٢٠) وخرج الطبرانى عن على - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « يكون فى آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب فى المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام ، ولكن سبوا أشرارهم ؟ فإن فيهم الأبْدال . يوشك أن يرسل على أهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ، فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتى فى ثلاث رايات : المكثر يقول : هم اثنا عشر ألفا وأمارتهم : أُمت .. أمت . يلقون سبع رايات تحت كل منها رجل يطلب الملك ، فيقتلهم جميعا ، ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ، ودانيتهم » اهـ

وفيه « عبد الله بن لهيعة » وهو ضعيف معروف الحال .

ورواه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . فى روايته « **ثم يظهر الهاشمى ، فيرد الله الناس إلى ألفتهم** » الخ ، وليس فى طريقه « ابن لهيعة » وهو إسناد صحيح كما ذكر .

مما خرجه الحاكم :

(٢١) وخرج الحاكم فى المستدرك عن على - رضى الله عنه - « **فسأله رجل عن المهدى فقال على : هيهات ، ثم عقد بيده سبعا ، فقال : ذلك يخرج فى آخر الزمان ، إذا قال الرجل : الله .. الله ، قتل ، ويجمع الله له قوما قزعا كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم ، عدتهم على عدة أهل بدر ، لم يسبقهم الأولون ، ولا يدركهم الآخرون وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر** » .

« **قال أبو الطفيل : قال ابن الحنفية : أتريده ؟ قلت : نعم . قال : فإنه يخرج من بين هذين الأخشبين . قلت : لا جرم والله ولا أدعها حتى أموت ، ومات بها** » يعنى : مكة

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . انتهى

وإنما هو على شرط مسلم فقط ؛ فإن فيه « عمار الذهبى » و« يونس ابن إسحٰق » . ولم يخرج لهما البخارى . وفيه « عمرو بن محمد العبقرى » ولم يخرج له البخارى احتجاجا بل استشهادا ، مع ما ينضم إلى ذلك من تشبع عمار الذهبى .

وهو – وإن وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم النسائى وغيرهم – فقد قال على بن المدينى عن سفيان : إن بشر بن مروان قطع عرقوبيه . قلت : فى أى شىء ؟ قال : فى التشبع .

مما خرجه ابن ماجه .

(٢٢) وخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – فى رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن على بن زياد اليمامى ، عن عكرمة بن عمار ، عن إسحاق بن عبد الله عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى** » انتهى .

و « **عكرمة بن عمار** » وإن أخرج له مسلم ، فإنما أخرج له متابعه ، وقد ضعفه بعض ، ووثقه آخرون .

وقال أبو حاتم الرازى : هو « مُدَلّس » ، فلا يقبل إلا أن يصرح بالسماع .

و « **على بن زياد** » قال الذهبى فى « الميزان » : لا ندرى من هو ؟ ثم قال : الصواب فيه : عبد الله بن زياد .

و « **سعد بن عبد الحميد** » – وإن وثقه يعقوب بن أبي شيبة وقال فيه يحيى بن معين : ليس به بأس – فقد تكلم فيه الثورى ؛ قالوا : لأنه رآه يفتي فى مسائل ، ويخطىء فيها .

وقال ابن حبان : كان ممن فحش عطاؤه ، فلا يحتج به .

وقال أحمد بن حنبل : « سعد بن عبد الحميد » يدعى أنه سمع عرض كتب مالك ، والناس ينكرون عليه ذلك ، وهو ههنا ببغداد لم يحج ، فكيف سمعها ؟!

وجعله الذهبى ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه .

(٢٣) وخرج الحاكم فى مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا عليه . قال مجاهد : قال لى ابن عباس : « **لو لم أسمع أنك من أهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث** » قال : فقال مجاهد : فإنه فى ستر ، لا أذكره لمن يكره . قال ابن عباس : « منا – أهل البيت – أربعة : منا السفاح ، ومنا المنذر ، ومنا المنصور ، ومنا المهدى » . فقال مجاهد : بين لى هؤلاء الأربعة : فقال ابن عباس :

أما « السفاح » فربما قتل أنصاره ، وعفا عن عدوه .

وأما « المنذر » أراه قال : فإنه يعطى المال الكثير ، ولا يتعاظم فى نفسه ، ويمسك القليل من حقه .

وأما « المنصور » فإنه يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله ﷺ ، ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين ، والمنصور يرهب منه عدوه على مسيرة شهر .

وأما « المهدى » فإنه الذى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وتأمن البهائم السباع ، وتلقى الأرض أفلاذ كبدها » .

قال : قلت : وما أفلاذ كبدها ؟ قال : أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة » انتهى .

ما قيل فى هذا الحديث :

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وهو من رواية « **إسماعيل بن إبراهيم** » بن مهاجر عن أبيه ، وإسماعيل ضعيف ، وإبراهيم أبوه – وإن خرج له مسلّم – فالأكثرون على تضْعيفه . انتهى .

ومما خرجه ابن ماجه :

(٢٤) وخرّج ابن ماجه عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقتتل عند كنزكم ثلاثة : كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم . ثم تطلع الرايات السود من قِبَل المشرق ، فيقتلوهم قتلاً لم يقتله قوم ، ثم ذكر شيئا لا أحفظه . قال : فإذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبوا على الثلج ؛ فإنه خليفة الله المهدى** » **انتهى** .

ورجاله رجال الصحيحين ، إلا أن فيه « أبا قلابة الجرمى »

وذكر الذهبى وغيره : أنه مدلِّس .

وفيه « سفيان الثورى » . وهو مشهور بالتدليس .

وكل منهما عنعن ، ولم يصرح بالسماع ، فلا يقبل .

وفيه « **عبد الرازق بن همام** » وكان مشهورا بالتشيع ، وعمى فى آخر وقته ، فخلط .

قال ابن عدى : حدث بأحاديث فى الفضائل لم يوافقه عليها أحد ، ونسبوه إلى التشيع . انتهى .

ومما خرجه ابن ماجه :

(٢٥) وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى من طريق بن لهيعة عن أبى زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله

الحارث بن جزء قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الناس من المشرق فيوطئون للمهدى - يعنى سلطانه - » .

قال الطبرانى : تفرد به « ابن لهيعة » وقد تقدم لنا في حديث على الذى خرجه الطبرانى فى معجمه الأوسط : أن « ابن لهيعة » ضعيف . وأن شيخه عمر بن جابر أضعف منه .

مما خرّجه البزّار والطبرانى :.

(٢٦) وخرج البزار فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه الأوسط - واللفظ للطبرانى - عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **يكون فى أمتى المهدى ، إن قصر فسبع ، وإلا فثمان ، وإلا فتسع ، تنعم فيها أمتى نعمة لم ينعموا بمثلها ، ترسل السماء عليهم مدراراً ، ولا تدخر الأرض شيئا من النبات ، والمال كدوس يقوم الرجل يقول : يامهدى ، أعطنى ، فيقول : خذ** » .

ما قيل في هذا الحديث :

قال البزار والطبرانى : تفرد به « **محمد بن مروان العجلى** » زاد البزار : ولا نعلم أنه تابعه عليه أحد . وهو - وإن وثقه أبو داود ، وابن حبان - أيضا - ما ذكره فى الثقات ، وقال فيه يحيى بن معين : صالح ، وقال مرة : ليس به بأس - فقد اختلفوا فيه .

وقال أبو زرعة : ليس عندى بذلك .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : رأيت « محمد بن مروان العجلى » حدث بأحاديث وأنا شاهد لم أكتبها تركتها على عمد .

وكتب بعض أصحابنا عنه كأنه ضَعَّفه -

وخرّجه أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أبى هريرة وقال : حدثنى خليلى أبو القاسم ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتى فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق . قال : قلت : وكم يملك ؟ قال : خمسا ، واثنين . قال : لا أدرى » .

وهذا السند - وإن كان فيه « بشير بن نهيك » وقال فيه أبو حاتم : لا يحتج به - فقد احتج به الشيخان ، ووثقه الناس ، ولم يَلْتفتوا إلى قول أبى حاتم : « لا يحتج به » - إلا أن فيه « رجاء بن أبى رجاء اليشكرى » وهو مختلف فيه .

قال أبو زرعة : ثقة .

وقال يحيى بن معين : ضعيف .

وقال أبو داود : ضعيف ، وقال مرة : صالح .

وعلق له البخارى فى صحيحه حديثا واحدا .

ومما خرج أبو بكر البزار فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط :

(٢٧) ومما خرج أبو بكر البزار فى مسنده والطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط عن قره بن إياس قال : قال رسول الله ﷺ : « **تملأن الأرض جورا وظلما ، فإذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من أمتى اسمه اسمى ، واسم أبيه اسم أبى يملؤها عدلا وقسطا ، كما ملئت جورا وظلما ، فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ، ولا الأرض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا أو ثمانيا ، أو تسعا - يعنى سنين -** » . **انتهى**

ما قيل فيه :

وفيه « **داود بن المحبر بن قحزم** » عن أبيه . وهما ضعيفان جدا .

ومما خرج الطبرانى فى معجمه الأوسط :

(٢٨) وخرج الطبرانى فى معجمه الأوسط عن ابن عمر قال : « **كان رسول الله ﷺ : فى نفر من المهاجرين والأنصار وعلى بن أبى طالب عن يساره ، والعباس عن يمينه ، إذ تلاحى العباس ورجل من الأنصار ، فأغلظ الأنصارى للعباس ، فأخذ النبى ﷺ بيد العباس ، وبيد على وقال : سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطا وعدلا ، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمى ، فإنه يقبل من المشرق ، وهو صاحب راية المهدى** » . انتهى

ما قيل فى سند هذا الحديث :

وفيه عبد الله بن عمر العمى ، وعبد الله بن لهيعة وهما ضعيفان . ا هـ

ومما خرج الطبرانى فى معجمه الأوسط :

وخرج الطبرانى فى معجمه الأوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبى ﷺ قال : « **ستكون فتنة لا يسكن منها جانب إلا تشاجر جانب حتى ينادى مناد من السماء إن أميركم فلان** » ا هـ

ما قيل فى سند هذا الحديث :

وفيه « المثنى بن الصباح » وهو ضعيف جدا . وليس فى الحديث تصريح بذكر المهدى ، وإنما ذكروه فى ترجمته وفى أبوابه .

تعليق :

ويقول ابن خلدون بعد هذا العرض لجملة الأحاديث التى خرجها الأئمة وما وجه إليها من نقد : .

فهذه جملة الأحاديث التى خرجها الأئمة فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان ، وهى كما رأيت :

لم يخلص منها من النقد إلا القليل ، أو الأقل منه !!

بِمَ يتمسك المنكرون لشأنه ؟

(٢٨) وربما تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندى عن

أبان بن صالح بن أبى عياش عن الحسن البصرى ، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال :

« **لا مهدىّ إلا عيسى بن مريم** »

وقال يحيى بن معين فى « محمد بن خالد الجندى » إنه ثقة .

وقال البيهقى : تفرد به محمد بن خالد .

وقال الحاكم فيه : إنه رجل مجهول ، واختلف عليه فى إسناده ، فمرة يروى كما تقدم ، وينسب ذلك لمحمد بن إدريس الشافعى ، ومرة يروى عن محمد بن خالد عن أبان عن الحسن ، عن النبى ﷺ مرسلا . قال البيهقى : فرجع إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن أبى عياش ، وهو متروك ، عن الحسن عن النبى ﷺ وهو منقطع .

وبالجملة : فالحديث ضعيف مضطرب .

تأويل : وقد قيل فى « أن لا مهدى إلا عيسى » أى لا يتكلم فى المهد إلا عيسى . يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به ، أو الجمع بينه وبين الأحاديث !

وهو مدفوع بحديث جريج ، ومثله من الخوارق .

خلاصة رأى المتصوفة :

يقول ابن خلدون :

وأما المتصوفة ، فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون فى شىء من هذا ، وإنما كان كلامهم فى المجاهدة بالأعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجد والأحوال .

وكان كلام الإمامية والرافضة من الشيعة فى تفضيل على – رضى الله عنه – والقول بإمامته ، وادعاء الوصية له بذلك من النبى ﷺ ، والتبرّى من الشيخين .

ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالإمام المعصوم ، وكثرت التآليف فى

مذهبهم ، وجاء الاسماعيلية منهم يدعون ألوهية الإمام بنوع من الحلول . وآخرون يدّعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ .

وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم .

وآخرون منتظرون عودة الأمر فى آل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من الأحاديث فى المهدى وغيرها .

ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام فى الكشف وفيما وراء الحس ، وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق – بالحلول والوحدة – فشاركوا فيها الإمامية ، والرافضة ؛ لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم .

وظهر منهم القول بالقطب ، والأبدال ، وكأنه يحاكى مذهب الرافضة فى الإمام والنقباء ، وأشربوا أقوال الشيعة ، وتوغلوا فى الديانة بمذاهبهم ، وامتلأت كتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك فى « الفاطمى المنتظر » وكأن بعضهم يمليه على بعض ويتلقنه بعضهم عن بعض

الفهرس

الفصل الثالث

أمارات وقوع الساعـة

الموضــوع | الصفحة

الفصل الرابع
جولة بين المؤيدية والمعارضين
لعقيدة المهدية

أضواء كاشفة

رقم الايداع ٣٣٤٨ / ٨٧